وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البليدة 2
قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات في النص الأدبي القديم: السداسي الأول (شعر) سنة أولى ليسانس

محاضرات موجّهة لطلبة السنة الأولى جامعي نظام ل م د، جامعة علي لونيسي البليدة 2

إعداد الدكتور: بشري محمد

السنة الدراسية 2021/2020

تقديم:

ميدان اللغة العربية يتطلب من الطالب ضرورة الإلمام بفنون الأدب شعره ونثره حتى تستقيم ملكته وتتوسع معارفه، وانطلاقا من هذا الهدف نضع بين أيدي طلبتنا هاته المطبوعة الموجهة لسنوات الأولى ليسانس والتي تضم مجموعة من المحاضرات تتعلق بمقياس النص الأدبي القديم في قسمه الأول الخاص بميدان الشعر.

وعليه وضعنا أربعة عشرة محاضرة (14) مطابقة لما تمّ برمجته لهذا المستوى من التعليم وقد راعينا فيها حسن الترتيب والتنسيق واقتصرنا على ما يتم تناوله فقط في هذا المستوى ونوّعنا في مصادر المعلومة من مراجع ومصادر مختلفة واستعنّا بمحاضرات قدمها مجموعة من الأساتذة في جامعات وطنية مختلفة تتعلق بهذا المقياس وحاولنا أن نبسط المعلومة حتى تكون في متناول الطالب يستوعبها ويحيط بها كما راعينا المدة الزمنية التي يتطلبها الدرس وفهمه لذلك اختصرنا قدر الاستطاعة دون إخلال بمضمون المحاضرة وابتعدنا عن التعقيد لأننا ندرك أن طلاب هذه المرحلة قادمون من مرحلة سبقتها وهي مرحلة التعليم الثانوي. فهذه المرحلة بالنسبة لهم هي مرحلة اكتشاف وتكيّف وعليه كان لزاما علينا تبسيط المعلومة وتقريبها إليهم.

ولقد تناولنا في هذه المطبوعة المحاضرات الآتية:

1- الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا.

2- المعلقات الشعرية: مضامينها وأساليبها ونماذج منها.

3- شعر الصعاليك.

4- شعر الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام.

5- المراثي النبويّة.

6- شعر النقائض.

7- الشعر العذري والشعر العمري.

8- شعر الزّهد والتصوّف.

9- شعر الحماسة.

10- الشعر السياسي في المشرق والمغرب.

11- الشعر الفلسفي وشعر الحكمة.

12- الموشّحات والأزجال.

13- الشعر الأندلسي.

14- الأدب الجزائري القديم.

المحاضرة الأولى (01)

الإطار الجغرافي والثقافي للشعر العربي:

عرف العرب من سكان شبه الجزيرة العربية حركة شعرية دؤوبة، وشبه جزيرة العرب هي تلك المنطقة التي تمتد جغرافيا من أقصى الجنوب الغربي من القارة الآسيوية وتمتد حدودها غربا البحر الأحمر وجنوبا خليج عدن والمحيط الهندي وشرقا الخليج العربي، كما يعتبر جنوبها وشرقها وغربها جبال بركانية. وتنوع تضاريسها ساهم في تنوع مناخها وهم ما انعكس إيجابا على حياة العرب ذاتها فتعددت أنشطتهم وتباينت أساليب حياتهم وتراوحت بين الاستقرار والحل والترحال إذ اعتمد نشاطهم الاقتصادي على بعض الحرف البسيطة والزراعة والتجارة كما اعتمدوا أيضا على الرعي الذي أدى بهم إلى الحل والترحال.

كما نظّم العرب حياتهم الاجتماعية بسنّ قوانين ونظم ساهمت في استقرارهم اجتماعيا، حيث جعلوا من القبيلة شريعة ودستورا يجمعهم تحت مظلة الولاء والعصبية لنظام واحد، فساعدهم ذلك على الاجتماع لأنّ " العصبيّة ضرورية لتثبيت الاستقرار في حياة القبيلة لأن قوّتها في بطن من القبيلة تسلّم أمر قيادتها إلى تلك العصبية، وبالتالي فإن نظام القبيلة السياسي يبقى مستقرا، ويبقى الحكم في يد تلك العصبية إلى أن توجد عصبية أقوى منها ، وعندما توجد أكثر من عصبية قوية في القبيلة الواحدة تنقسم القبيلة إلى أقسام صغيرة تستقل كل قبيلة صغيرة بإدارة شؤونها وقد يؤدي تضارب مصالحها واشتباكها إلى اختلافها وتحاربها."[1]

هكذا كان الفرد منصهرا في قبيلته خاضعا لها لا يملك رأيه الشخصي ولا يحق له التصرف خارج أطر القبيلة وإلاّ اعتبر مارقا خارجا عن طوع القبيلة، ولعل أبرز شاهد على هذا الانصياع قول دريد بن الصمّة:

وما أنا إلاّ من غزيّة إن غوت غويت وإن ترشد غزيّة أرشد

[1] - عفيف عبد الرحمن : الشعر الجاهلي حصاد قرن دار جرير للنشر والتوزيع ط1 عمان الأردن 2007 ص 18

الشعر الجاهلي:

يعرف الشعر الجاهلي بذلك الموروث الشعري الكبير الي يضم قصائد مختلفة تتراوح بين الطول والقصر وهو ينتمي إلى فترة زمنية سبقت البعثة المحمديّة بأكثر من قرن من الزمن يعدّها بعض النقاد بمئة وخمسين سنة قبل الإسلام، يضم هذا الموروث الشعري قصائد لفحول الشعراء والتي عرفت بالمعلقات الشعرية نظمها فطاحل الشعراء أمثال زهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وامرؤ القيس وغيرهم ويضم أيضا قصائد لشعراء عرفوا بالشعراء الصعاليك كعروة بن الورد وتأبّط شرّا.

يعكس الشعر الجاهلي بصدق الحياة الاجتماعية الجاهلية ويجمع النقاد والمؤرخون على أن الشعر الجاهلي كان فخرا للعرب لذلك أولوه عناية كبيرة فاحتفوا به ومجدوه في حياتهم بل وعلقوا بعضه على أستار الكعبة تشريفا له " الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية ، والصورة الصادقة لحياة العرب وتقاليدهم ومثلهم، فيه من القيّم الفنية والصور الجميلة الرائعة والمعاني الدقيقة الموحيّة ، ما يجعله يعدّ بحق ذروة الشعر العربي، وقد كان القدوة المثلى التي يحتذيها الشعراء في العصور الأمويّة والعباسية، يسعون إلى تقليده ومحاكاته وقد بقي أثر الشعر الجاهلي واضحا في شعر العصور المتأخرة ومازال سلطانه في نفوس قارئيه وسامعيه بماضيه من أصالة وجمال في التعبير ودقة في المعاني ونضج فنّي وموسيقى ولغوي كبير".[2]

ومن فضائل الشعر الجاهلي أيضا أنه ساهم في معرفة أنساب العرب وتاريخهم وأيامهم ووقائعهم. يقول أبو هلال العسكري في الصناعتين:" كذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلاّ من جملة أشعارها فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها".[3]

---

[2] - يحي الجبوري : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط5 1986 ص 121

[3] - أبو هلال الحسن العسكري : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر تح علي محمد البجاوي ومحمد ابراهيم دار إحياء الكتب العلمية ط1 1952 ص 138

لقد ساهم هذا الموروث الشعري العربي في صقل لغة العرب وتوحيد لهجاتهم وتهذيب أخلاقهم وغرس بعض القيم المثلى كالشجاعة والكرم ونصرة الضعيف والذود عن العرض وحماية القبيلة وغيرها من المثل العليا.

إن الشاعر الجاهلي كان بمثابة القناة الإعلامية في عصرنا الحالي فهو الناطق الإعلامي للقبيلة. يقول ابن رشيق مبيّنا قيمة الشاعر في قبيلته:" إذا نبغ فيهم الشاعر هلّلت وأقامت الأفراح."[4]

خصائص الشعر الجاهلي:

يتمتّع الشِّعر الجاهليّ بعدّة مزايا وخصائص تُميّزه عن غيره من الشِّعر، وهذه الخصائص هي:

أولا: من الناحية المعنويّة:

الطابع البدويّ والصِّلة بالبيئة: فالشِّعر الجاهليّ يُعتبَر مرآةً لحياة البادية بمختلف نواحيها؛ حيث صوّر في مضمونه المعالم الجغرافيّة، والظواهر الكونيّة، والنباتات، بالإضافة إلى وصف حيوانات البادية، ونظام المجتمعات البدويّة من البيوت، والدِّيار، والقوافل، وقد ساهم ذلك في وَسْم الشِّعر الجاهليّ، وتحديد أُفُقه في إطار البيئة، ممّا أدّى إلى تشابه الأفكار بين الشعراء، وتكرار المفردات، والمعاني، وقد ظهر أثر الطابع البدويّ واضحاً في الشِّعر الجاهليّ، وفي طبائع شُعرائه.

الواقعيّة والوضوح: استطاع الشِّعر الجاهليّ تقديم صورة بسيطة، وواضحة، وواقعيّة للبيئة، بحيث تناسَبَ هذا التصوُّر مع الفطرة البدويّة، والمجتمع البدويّ، كما أنّ الوضوح، والبساطة، عنصران يدلّان على عقليّة هادئة، ومُستقِرّة، لا تعتليها الفلسفة، أو الغموض، والبساطة هنا لا تعني السذاجة؛ فالشِّعر الجاهليّ يدلُّ في مضمونه على الصفاء الذهنيّ، والرقِيّ العقليّ والمقدرة على كتابة الشِّعر، وصياغة معانيه على النحو الأمثل.

[4] - ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تح عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان ط1 2001 ج1 ص 37

الإيجاز: لجأ شعراء الشِّعر الجاهليّ عند نَظْمه إلى تجنُّب التأمُّل، والإطالة في مضمون الشِّعر؛ فطبيعة الحياة البدويّة كانت سريعة، وذات حركة دائبة، ومُستمِرّة.

البساطة في التفكير: حيث تضمَّن الشِّعر الجاهليّ تراكيب، ومعانٍ بسيطة لا يعتليها التعقيد، أو الغموض، بحيث تتناسب هذه البساطة في المعاني مع حياة الشعراء، وأسلوب تفكيرهم؛ لذلك نجد أنّ الشِّعر الجاهليّ تضمَّن مواضيع تمتاز بالحسّية، أو المادّية، وابتعدت عن الآفاق الروحيّة المعنويّة.

الحياة والحركة: تميَّزت الصورة الشعريّة في الشِّعر الجاهليّ بالحركة، ومطابقتها للواقع، وهي تُشبه في ذلك الأجسام الحيّة التي تتحرّك، وتدور، وتجري، وتتكلّف في بعض الأحيان.

الروح الجماعيّة: تظهر الروح الجماعيّة واضحة في الشِّعر الجاهليّ؛ لأنّ الشعراء تحدَّثوا في معظم أشعارهم عن القبيلة؛ فكانت هذه الأشعار تتضمَّن صيغة الجمع، كما أنّ النواحي الشخصيّة ظهرت في الشِّعر الجاهليّ؛ إذ إنّه شِعر وجدانيّ، إلّا أنّه مع ذلك، لم تطغَ الناحية الشخصيّة على الناحية الجماعيّة في الشِّعر الجاهليّ.

ثانيا : من الناحية الشكليّة:

المحافظة على التقاليد الشعريّة: حيث التزم الشعراء عند نَظْمهم للشِّعر بمجموعة تقاليد مُحدَّدة في مختلف قصائدهم، ومن هذه التقاليد: الوقوف على الأطلال، والبكاء، وخطاب الآثار، أو الأصدقاء، ثمّ وصف الشاعر لحاله؛ بسبب رحيل الحبيبة، ووصف جمالها، وبعد ذلك، ينتقل إلى غَرَضه الرئيسيّ في القصيدة، ويتميّز الشاعر الماهر عن غيره من الشعراء في حُسن الرَّبط بين هذه الموضوعات، والانتقال بسلاسة فيما بينها.

العناية بالألفاظ والعبارات: حيث كان الشعراء (خاصّة أصحاب الحوليّات) يمنحون اهتماماً كبيراً للألفاظ الشعريّة في شِعرهم، ويتحرَّونها بشكل جيّد بحيث تُؤدّي معناها، وغَرَضها، وتُؤثِّر بمحتواها في السامعين. والقارئ في الشِّعر الجاهليّ قد يجد بعض الألفاظ الغريبة، وغير

المعروفة في وقتنا الحالي، إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّ الشعراء اختاروا في أشعارهم ألفاظاً غير موجودة، أو غريبة، بل يعني أنّهم كانوا يختارون الألفاظ المعروفة، والمُنتشِرة في مجتمعاتهم آنذاك، علماً بأنّ هذه الألفاظ قد ظهرت غريبة لنا؛ بسبب الفوارق الزمنيّة، وعدم استخدامنا لها، إضافة إلى أنّه كان يجب على الشاعر أن يُحافظ على قافية الأبيات.

الوَحدة: حيث تميّز الشِّعر الجاهليّ بتحقيق الجَرَس الموسيقيّ في كافّة مقاطع القصيدة، ممّا يدلُّ على المقدرة اللغويّة العالية لشعراء ذلك الزمن.

صياغة المُحسِّنات البديعيّة بأسلوب فِطريّ: حيث تميّزت المُحسِّنات البديعيّة في الشِّعر الجاهلي بالصياغة السليمة دون تكلّف أو جهد حيث تضمنت أشعارهم الاستعارات ومختلف التشبيهات والكنايات والمحسنات البديعية على تنوعها.

أغراض الشعر العربي القديم:

1- الفخر: يعتبر الفخر من أهم الأغراض الشعرية التي عرفها الشعر الجاهلي وقد ظهر بشكل جلي في الجاهلية حيث ارتبط بالقبيلة والذود عنها " وهو ضرب من الحماسة يعني التغني بالفضائل والمثل العليا والفعال الطيبة ويرد على ضربين: ضرب يركز على الفضائل المادية من قوة ومال وأولاد وآخر يركز على الفضائل النفسية من كرم وحلم وشجاعة"[5] وأشهر ما ورد منه قول عمرو بن كلثوم في معلقته الي مطلعها:[6]

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

حيث يقول مفتخرا:

أبا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبّرك اليقينا

بأنّا نورد الرّايات بيضا ونصدرهنّ حمرا قد روينا

[5] - أبو زكريا يحي بن علي التبريزي : شرح القصائد العشر دار الطباعة المنيرية ص 217
[6] - أبوزيد محمد بن أبي علي القرشي : جمهرة أشعار العرب دار بيروت للطباعة والنشر 1984 ص 139

وأيّام لنا غرّ طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

2- الهجاء: يعرف الهجاء بأنه محاولة سلب الآخر كل المعاني الفاضلة قصد النيل منه والحط من قيمته وكأن هذا الغرض هو نقيض للمدح. " لم يكن الهجاء عند العرب في اعتبار السباب والإفحاش ولكنه سلب الخلق أو سلب النفس أو فصل المرء من مجموع الخلق الحي الذي يؤلف قومية الجماعة وتركه عضوا ميتا يتواصفون ازدراءه ويحركه جسم الأمة وحركة جامدة كلما نهض أو تقدّم"[7] كقول عنترة بن شداد:[8]

أسد عليّ وفي العدوّ أذلّة هذا لعمرك فعل مولى الأشأم

إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السّباع وكلّ نسر قشعم

3- المديح: هو نقيض الهجاء وركيزته الاشادة بالفضائل الشخصية أو الجماعية – القبيلة – وتعددت غايات المدح بين الاعجاب والتكسّب يقول زهير بن أبي سلمى مادحا الحارث بن عوف وهرم بن سنان:[9]

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم

4- الغزل: يقو الغزل على الوصف والتشبيب ويشمل تلك الأحاديث الغرامية التي تدور بين الشاعر ومحبوبه فارتبطت أطلالهم بالمحبوبة وقد جاء غزلهم أغلبه مرتبطا بالجمال الخارجي نظرا لخصوصية التقاليد العربية كما صدر به الشعراء مقدمات قصائدهم كقول امرئ القيس:[10]

---

[7] -مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب مكتبة الايمان ط1 مصر 1940 ص 73

[8] - أبوزيد محمد بن أبي علي القرشي : جمهرة أشعار العرب دار بيروت للطباعة والنشر 1984 ص 170

[9] -نفسه ص 107

[10] -نفسه ص 97

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فاجملي

أغرّك منّي أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

5- الرثاء: يعبر الرثاء عن الحزن وألم الفقد وقد قام على رثاء الأفراد من الأقارب والأبطال وقد اشتهرت الخنساء برثاء أخيها صخر وهو يعتمد على ذكر محاسن الميت كقول جليلة ترثي زوجها كليب:[11]

يا قتيلا قوّض الدهر به سقف بيتي جميعا من عل

ورماني فقده من كثب رمية المصمي به المستأصل

مسّني فقد كليب بلظى من ورائي ولظى مستقبل

[11] -جرجي زيدان: تاريخ أداب العربية دار مكتبة الحياة بيروت لبنان المجلد لأول ص79

المحاضرة الثانية (02)

المعلقات: مضامينها وأساليبها

تعريف المعلقات: هي قصائد طويلة نظمت في الجاهلية وهي تعد من أجود ما قيل في الشعر العربي وقد اختلف الرواة في عدد المعلقات وأصحابها فأبو زيد القرشي صاحب كتاب جمهرة أشعار العرب يجعلهم ثمانية وهم امرؤ القيس وزهير بن أي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى ولبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد وعنترة بن شداد[12]لكن الزّوزني جعلهم سبعا ليس منهم النابغة ولا الأعشى وأضاف الحارث بن حلزة كما أضاف التبريزي فوق ذلك قصيدة عبيد بن الأبرص فصارت المعلقات وملحقاتها عشرا[13].

وسميت المعلقات بالسموط تشبيها لها بالقلائد والمذهبات لأنها كتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة.

نماذج من المعلقات:

1- امرؤ القيس: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر وقيل اسمه: جندح وقيل: عدي وأمه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب والمهلهل أشهر شعراء الجاهلية وأشرفهم أصلا وأرفعهم منزلة يتصل نسبه بملوك كندة.

تتكوّن معلقة امرئ القيس من ثمانية وسبعين بيتا وقد نظمها في وصف واقعة جرت له مع حبيبته وابنة عمه عنيزة بنت شرحبيل إذ حضر عليه لقاؤها ولعلهم منعوه منها لما كان من رغبته في الشعر، أما هو فكان ينتهز الفرص لملاقاتها ...فانتهز فرصة ظعن الحي وكانوا إذا ظعنوا مشى الرجال أولا ثم النساء فتخلّف امرؤ القيس عن الرجال وتربص حتى ظعنت النساء

[12] -ابو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب ص 361
[1313] -جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية مج1 ص 95

وكان في طريق الظاعنين غدير يسمى دارة جلجل في منازل كندة بنجد فلما نزلت به النساء وفيهن عنيزة بدأ بالتغزل بها[14].

يقول امرؤ القيس في معلقته:[15]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَــا وَقِيْعَــانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُـــلِ

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُــوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَّي مَطِيَّهُــمُ يَقُوْلُوْنَ لاَ تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَمَّــلِ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَــا نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي

ألاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِــحٍ وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُــلِ

ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَي مَطِيَّتِــي فَيَا عَجَباً مِنْ كُوْرِهَا المُتَحَمَّــلِ

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِيْنَ بِلَحْمِهَــا وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّــلِ

ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْــزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلاَتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي

تَقُولُ وقَدْ مَالَ الغَبِيْطُ بِنَا مَعــاً عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا امْرأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

فَقُلْتُ لَهَا سِيْرِي وأَرْخِي زِمَامَــهُ ولاَ تُبْعِــدِيْنِي مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّــلِ

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِــعٍ فَأَلْهَيْتُهَــا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْــوِلِ

[14] -جرجي زيدان : تاريخ أداب اللغة العربية مج1 ص 101/100

[15] -أبوزيد القرشي: جمهرة أشعار العرب ص 95

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشَــقٍّ وتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَــوَّلِ

ويَوْماً عَلَى ظَهْرِ الكَثِيْبِ تَعَــذَّرَتْ عَلَــيَّ وَآلَــتْ حَلْفَةً لم تَحَلَّــلِ

أفاطِــمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّــلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

أغَــرَّكِ مِنِّــي أنَّ حُبَّــكِ قَاتِلِــي وأنَّــكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَــلِ

وإِنْ تَكُ قَدْ سَــاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَــةٌ فَسُلِّــي ثِيَــابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُــلِ

وَمَا ذَرَفَــتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِــي بِسَهْمَيْكِ فِي أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّــلِ

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَــا لَــدَى السِّتْرِ إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّــلِ

فَقَالَــتْ : يَمِيْنَ اللهِ مَا لَكَ حِيْلَةٌ وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الغَوَايَةَ تَنْجَلِــي

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَــا عَلَــى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّــلِ

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَــى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَــــهُ عَلَيَّ بِأَنْــوَاعِ الهُــمُوْمِ لِيَبْتَلِــــي

فَقُلْــتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّــى بِصُلْبِــــهِ وأَرْدَفَ أَعْجَــازاً وَنَاءَ بِكَلْكَــــلِ

ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِــــي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنكَ بِأَمْثَــــلِ

فَيَــــا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَــهُ بِــأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْــــدَلِ

وَوَادٍ كَجَــوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُــــهُ بِــهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كَالخَلِيْعِ المُعَيَّــــلِ

فَقُلْــتُ لَهُ لَمَّا عَوَى : إِنَّ شَأْنَنَــــا قَلِيْلُ الغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَــــوَّلِ

كِــــلاَنَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئَــاً أَفَاتَــهُ ومَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وحَرْثَكَ يَهْــزَلِ

وَقَــدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَــا بِمُنْجَــرِدٍ قَيْــدِ الأَوَابِدِ هَيْكَــــلِ

مِكَــرٍّ مِفَــرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِــرٍ مَعـــاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

يُزِلُّ الغُــلاَمُ الخِفَّ عَنْ صَهَــوَاتِهِ وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيْــفِ المُثَقَّــلِ

لَهُ أَيْطَــلا ظَبْــيٍ وَسَاقَا نَعَــامَةٍ وإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُــلِ

فَعَــادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَــةٍ دِرَاكاً وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَــلِ

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِن بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيــفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيْرٍ مُعَجَّــلِ

أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيْكَ وَمِيْضَــهُ كَلَمْــعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّــلِ

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيْحُ رَاهِــبٍ أَمَالَ السَّلِيْــطَ بِالذُّبَالِ المُفَتَّــلِ

لقد تنوعت مضامين المعلقة بين الوقوف على الطلل والغزل والوصف وهو دأب المعلقات.

2- معلقة زهير بن أبي سلمى: هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة. وهو زهير بن أبي سلمى بن رباح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة وينتهي نسبه إلى قبيلة مضر تتكون معلقته من تسعة وخمسن بيتا وهي لا تخرج في طريقة نظمها وبنائها على طريقة المعلقات من الوقوف على الأطلال ثم الوصف ثم المدح.

امتاز زهير "بما في نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الأمثال مع القدرة على المدح وهو لا يعاظل في الكلام ويتجنب وحشيّه ولا يمدح أحدا إلاّ فيه وكان لزهير أخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة صدر وحلم .... فرفع القوم منزلته وجعلوه سيدا وكثر ماله واتسعت ثروته وكان مع ذلك عريقا في شعره حيث كان أبوه شاعرا وكذلك خاله وأختاه وابناه وكان لشعره تأثير كبير في نفوس العرب كما كان مقربا من أمراء ذبيان وخصوصا هرم بن سنان والحارث بن عوف وأوّل قصيدة نظمها في مدحهما معلقته المشهورة، حيث أنشدها على إثر مكرمة أتياها بحقن الدماء بين عبس وذبيان".[16]

[16] -جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية مج1 ص 103

يقول زهير بن أبي سلمى في معلقته:[17]

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم

بها العين والأرآم يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم

جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من محل ومحرم

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من القول نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم

عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثقالها وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

[17] -أبوزيد القرشي: جمهرة أشعار العرب ص105

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

لعمرك ما جرت عليهم رماحهم دم ابن نهيك أو قتيل المثلم

كرام فلا ذو الضغن يدرك تبله ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

ومن يجعل المعروف في غير أهله يكن حمده ذما عليه ويندم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لم يكرم نفسه لم يكرم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده وإن الفتى بعد السفاهة يحلم

3- عنترة بن شداد: هو عنترة بن شداد من قبيلة عبس من قيس وهو من الشعراء الفرسان الشجعان ، عشق ابنة عمه فهاجت شاعريته واتسع خياله ، أمه زبيبة كانت حبشية فلما انجبت ابنها وظهرت مواهبه اعترف به أبوه وألحقه بنسبه ولعنترة أشعار كثيرة تدخل في ديوان كبير[18].

نظم عنترة بن شداد معلقته بعدما كان قد أبلى واعترف به أبوه وأعتقه فسابه رجل من بني عبس ذكر سواده وأمه وإخوته فسبه عنترة ففخر عليه وقال فيما قال: إني لأحضر البأس وأوفي

[18] - جرجي زيدان : تاريخ أداب اللغة العربية مج1 ص113

المغنم وأعف عند المسألة وأجود بما ملكت يدي. قال له الرجل: أنا أشعر منك. فقال عنترة: ستعلم ذلك.[19]

يقول عنترة في معلقته:[20]

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدِّمِ أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاِسلَمي

فَوَقَفتُ فيها ناقَتي وَكَأَنّه فَدَنٌ لِأَقضِيَ حاجَةَ المُتَلَوِّمِ

وَتَحُلُّ عَبلَةُ بِالجَواءِ وَأَهلُنا بِالحَزنِ فَالصَمّانِ فَالمُتَثَلَّمِ

حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقادَمَ عَهدُهُ أَقوى وَأَقفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيثَمِ

حَلَّت بِأَرضِ الزائِرينَ فَأَصبَحَت عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ اِبنَةَ مَخرَمِ

عُلِّقتُها عَرَضاً وَأَقتُلُ قَومَه زَعماً لَعَمرُ أَبيكَ لَيسَ بِمَزعَمِ

وَلَقَد نَزَلتِ فَلا تَظُنّي غَيرَهُ مِنّي بِمَنزِلَةِ المُحَبِّ المُكرَمِ

كَيفَ المَزارُ وَقَد تَرَبَّعَ أَهلُه بِعُنَيزَتَينِ وَأَهلُنا بِالغَيلَمِ

إِن كُنتِ أَزمَعتِ الفِراقَ فَإِنَّم زُمَّت رِكابُكُمُ بِلَيلٍ مُظلِمِ

ما راعَني إِلّا حَمولَةُ أَهلِه وَسطَ الدِيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمخِمِ

فيها اِثنَتانِ وَأَربَعونَ حَلوبَةً سوداً كَخافِيَةِ الغُرابِ الأَسحَمِ

إِذ تَستَبيكَ بِذي غُروبٍ واضِحٍ عَذبٍ مُقَبَّلُهُ لَذيذِ المَطعَمِ

وَكَأَنَّ فارَةَ تاجِرٍ بِقَسيمَةٍ سَبَقَت عَوارِضَها إِلَيكَ مِنَ الفَمِ

---

[19] - جرجي زيدان : تاريخ أداب اللغة العربية مج 1ص 114

[20] -أبو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب ص 161

أَو رَوضَةً أُنُفاً تَضَمَّنَ نَبتَه غَيثٌ قَليلُ الدِمنِ لَيسَ بِمَعلَمِ

جادَت عَليهِ كُلُّ بِكرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكنَ كُلَّ قَرارَةٍ كَالدِرهَمِ

هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ قَدحَ المُكِبِّ عَلى الزِنادِ الأَجذَمِ

تُمسي وَتُصبِحُ فَوقَ ظَهرِ حَشِيَّةٍ وَأَبيتُ فَوقَ سَراةِ أَدهَمَ مُلجَمِ

تَأوي لَهُ قُلُصُ النَعامِ كَما أَوَت حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لِأَعجَمَ طِمطِمِ

يَتبَعنَ قُلَّةَ رَأسِهِ وَكَأَنَّهُ حِدَجٌ عَلى نَعشٍ لَهُنَّ مُخَيَّمِ

صَعلٍ يَعودُ بِذي العُشَيرَةِ بَيضَهُ كَالعَبدِ ذي الفَروِ الطَويلِ الأَصلَمِ

شَرِبَت بِماءِ الدُحرُضَينِ فَأَصبَحَت زَوراءَ تَنفِرُ عَن حِياضِ الدَيلَمِ

وَكَأَنَّما تَنأى بِجانِبِ دَفِّها ال وَحشِيِّ مِن هَزِجِ العَشِيِّ مُؤَوَّمِ

هِرٍ جَنيبٍ كُلَّما عَطَفَت لَهُ غَضبَى اِتَّقاها بِاليَدَينِ وَبِالفَمِ

بَرَكَت عَلى جَنبِ الرِداعِ كَأَنَّم بَرَكَت عَلى قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ

إِن تُغدِفي دوني القِناعَ فَإِنَّني طَبٌّ بِأَخذِ الفارِسِ المُستَلئِمِ

أَثني عَلَيَّ بِما عَلِمتِ فَإِنَّني سَمحٌ مُخالَقَتي إِذا لَم أُظلَمِ

وَإِذا ظُلِمتُ فَإِنَّ ظُلمِيَ باسِلٌ مُرٌّ مَذاقَتَهُ كَطَعمِ العَلقَمِ

وَلَقَد شَرِبتُ مِنَ المُدامَةِ بَعدَما رَكَدَ الهَواجِرُ بِالمَشوفِ المُعلَمِ

بِزُجاجَةٍ صَفراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنَت بِأَزهَرَ في الشَمالِ مُفَدَّمِ

فَإِذا شَرِبتُ فَإِنَّني مُستَهلِكٌ مالي وَعِرضي وافِرٌ لَم يُكلَمِ

وَإِذا صَحَوتُ فَما أُقَصِّرُ عَن نَدىً وَكَما عَلِمتِ شَمائِلي وَتَكَرُّمي

هَلّا سَأَلتِ الخَيلَ يا اِبنَةَ مالِكٍ إِن كُنتِ جاهِلَةً بِما لَم تَعلَمي

يُخبِركِ مَن شَهِدَ الوَقيعَةَ أَنّني أَغشى الوَغى وَأَعِفُّ عِندَ المَغنَمِ

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ لا مُمعِنٍ هَرَباً وَلا مُستَسلِمِ

جادَت لَهُ كَفّي بِعاجِلِ طَعنَةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدقِ الكُعوبِ مُقَوَّمِ

فَشَكَكتُ بِالرُمحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ لَيسَ الكَريمُ عَلى القَنا بِمُحَرَّمِ

فَتَرَكتُهُ جَزَرَ السِباعِ يَنُشنَهُ يَقضِمنَ حُسنَ بِنانِهِ وَالمِعصَمِ

وَمِشَكِّ سابِغَةٍ هَتَكتُ فُروجَه بِالسَيفِ عَن حامي الحَقيقَةِ مُعلِمِ

لَمّا رَآني قَد نَزَلتُ أُريدُهُ أَبدى نَواجِذَهُ لِغَيرِ تَبَسُّمِ

فَطَعَنتُهُ بِالرُمحِ ثُمَّ عَلَوتُهُ بِمُهَنَّدٍ صافي الحَديدَةِ مِخذَمِ

يا شاةَ ما قَنَصٍ لِمَن حَلَّت لَهُ حَرُمَت عَلَيَّ وَلَيتَها لَم تَحرُمِ

فَبَعَثتُ جارِيَتي فَقُلتُ لَها اِذهَبي فَتَجَسَّسي أَخبارَها لِيَ وَاِعلَمي

قالَت رَأَيتُ مِنَ الأَعادي غِرَّةً وَالشاةُ مُمكِنَةٌ لِمَن هُوَ مُرتَمِ

وَكَأَنَّما اِلتَفَتَت بِجيدِ جَدايَةٍ رَشإٍ مِنَ الغِزلانِ حُرٍّ أَرثَمِ

لَمّا رَأَيتُ القَومَ أَقبَلَ جَمعُهُم يَتَذامَرونَ كَرَرتُ غَيرَ مُذَمَّمِ

يَدعونَ عَنتَرَ وَالرِماحُ كَأَنَّه أَشطانُ بِئرٍ في لَبانِ الأَدهَمِ

ما زِلتُ أَرميهِم بِثُغرَةِ نَحرِهِ وَلَبانِهِ حَتّى تَسَربَلَ بِالدَمِ

فَازوَرَّ مِن وَقعِ القَنا بِلَبانِهِ وَشَكا إِلَيَّ بِعَبرَةٍ وَتَحَمحُمِ

لَو كانَ يَدري ما المُحاوَرَةُ اِشتَكى وَلَكانَ لَو عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمي

المحاضرة الثالثة (03)

شعر الصعاليك:

تناولت المعاجم العربية مصطلح الصعلوك بالشرح والتفسير ومن المعاني التي أشارت إليها ما دلّ على الفقر والعوز والضمور والهزال. فإذا تصفحنا لسان العرب لابن منظور وجدناه يشير إلى أن الصعلوك هو الفقير الذي لا مال له ومنه قول حاتم الطائي:[21]

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلاّ سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بإحساننا الفقر

إذا المرء أثرى ثم لم يك ماله نوالا لدى البؤسى فحالفه العسر

كما تضمن أيضا هذا المصطلح معاني اللصوصية والدهاء والاحتيال والخبث والفتك قال ابن منظور : وذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون[22]. الشعراء الصعاليك " هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والإغارة على القبائل للنهب "[23].

إذن هم شعراء عاشوا في القفار فشاب حياتهم الفقر والتشرد والتمرد على القبيلة فكانوا يغيرون على البدو والحضر من القبائل لنهب أموالهم ثم الفرار إلى الفيافي حيث مخابئهم وقد تميز هؤلاء الشعراء بالقوة والشدة والصبر واحتمال المصاعب.

ويرجع حنا الفاخوري أسباب انتشار هذه الظاهرة لدى بعض الشعراء العرب إلى عدة أسباب اجتماعية .يقول حنا الفاخوري في ذلك: " أما الصعاليك فهم جماعة من اللصوص انتشروا في الجزيرة العربية يكسبون العيش بالنهب والسلب وقد نبذتهم قبائلهم لأنهم كانوا أبناء إماء أو لأنهم أتوا بأعمال تتنافى وتقاليد تلك القبيلة أو تعرضها لأخطار جسيمة، ولما كان الأمر كذلك انقطعت لأولئك الصعاليك كل صلة بالمجتمع القبلي وبالعدالة الاجتماعية ورأوا أنفسهم مجردين

[21] -ابن منظور: لسان العرب ، تنسيق علي شيري دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط1 1988 مج7 ص 350

[22] -لسان العرب مج 5 ص 15/14

[23] -جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية مج1 ص140

من وسائل الحياة المشروعة النبيلة في بلاد حفلت بالقسوة وفي مسرح جغرافي لا يعرف إلاّ الأجواء الجافة ورأوا من وراء فقرهم وجوعهم الثروات الطائلة في أيدي التجار وسكان الحواضر فزادهم المشهد تمردا ونفورا. وراحوا يملؤون الفلوات والجبال والأودية رعبا وهولا ويرفعون علم الصعلكة عاليا لا يبالون في سبيل غايتهم أكانت وسائلهم مشروعة أم غير مشروعة "[24]. لقد كانت حياة الصعاليك قائمة على التمرد على القبيلة، خارجة على نظمها، بعد أن فقد القبيلة اطمئنانها إلى أصحابها، كما فقد أصحابها طمأنينتهم فيها، فانقطعت الصلة بينهما، وانفصمت تلك الرابطة الاجتماعية التي تربط بين الفرد ومجتمعه، وانحل ذلك العقد الاجتماعي الذي يجعل من الفرد عضوًا عاملًا لمجتمعه، متوافقًا معه، دائرًا في فلكه، ورأى المجتمع في هؤلاء الصعاليك "شُذَّاذا" خارجين عليه، غير متوافقين معه، فتنكر لهم، وتخلى عنهم، وتركهم يواجهون الحياة دون أيَّة حماية منه أو ضمان اجتماعي، ورأوا هم في مجتمعهم مجتمعًا مختلًا، يسيطر عليه ظلم اجتماعي، وتسوده أنانية اقتصادية جائرة، وتنقصه عدالة اجتماعية تسَوي بين جميع أفراده، وتكافؤ في فرص العيش يهيئ لكل فرد فيه أن يأخذ بنصيبه من الحياة كما يأخذ سائر الأفراد.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا كلِّه أن فرَّ هؤلاء الصعاليك من مجتمعهم النظامي ليقيموا لأنفسهم بأنفسهم مجتمعًا فوضويًّا، شريعته القوة، ووسيلته الغزو والإغارة، وهدفه السلب والنَّهب، ووجدوا في الصحراء الفسيحة الواسعة التي لا تقيدها قيود، ولا تحد من حريتها حدود، ولا يستطيع قانون أن يخترق نطاقها ليفرض سلطانه عليها، مجالًا لا حدود له يمارسون فيه نشاطهم العدواني، ويقيمون دولتهم الفوضوية، "دولة الصعاليك" حيث يحيون حياة حرَّة متمرِّدة، تسودها العدالة الاجتماعية، وتتكافأ فيها فرص العيش أمام الجميع.

وأخبار هؤلاءِ الصعاليك وأشعارهم تحفل بأحاديث هذا التَّشرُّدِ في أنحاء الصحراء الموحشة، ووديانها الرهيبة، حيث يحيا الوحش بعيدًا عن البشر، وحيث يكمن الموت في كلِّ رجءٍ من أرجائها.

[24] -حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي دار الجيل بيروت د ت ص165/164

ولعل أقوى ما صُور به هذا التشرد في شعر الصعاليك هاتان الصورتان المتشابهتان اللتان نجد إحداهما عند تأبَّط شرًّا، والأخرى في لامية العرب، فكلا الصعلوكين مفارقٌ مجتمعه النظامي حيث يعيش البشر، إلى أعماق الصحراء البعيدة حيث يعيش الوحش، أما تأبَّط شرًّا فقد ألفته الوحش لطول ما عاش بينها مسالما لها، حتى أنِسَتْ به، واطمأنَّتْ إليه، وأمّا صعلوك اللامية فقد وجد في ضواري الصحراء أهلا له، يستعيض بها عن أهله من البشر، ويجد بينها الأمن والطمأنينة. يقول تأبط شرا متحدِّثًا عن نفسه:[25]

يبيت بمغني الوحش حتى ألفنه ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

رأين فتى لا صيد وحش يهمه فلو صافحت إنسا لصافحنه معا

ويقول الشنفرى صاحب اللامية:

ولي دونكم أهلون: سيّد عملّس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

هم الأهلون لا مستودع السرّ ذائع لديهم ولا الجاني بما جرّ يخذل

ومن الطبيعي أنَّ هذا التشرد جعل الصعاليك على صلة قريبة بحيوان الصحراء، استطاعوا عن طريقها أن يعرفوا طباعه وعاداتِه، وأن يتحدَّثوا عنه وعنها حديث الخبير المطَّلع. وفي شعرهم صور كثيرة لحيوان الصحراء ووحشها وطيرها وحشراتها وما يخيَّل للساري فيها من أشباحٍ، كذلك الوصف الدقيق للضباع وحياتها وطباعها.

وكان من نتيجة هذا التشرد البعيد في أعماق الصحراء أن أصبح الصعاليك على علم واسع بأسرارها، ومعرفة دقيقة بشعابها ودروبها ومسالكها ومياهها، ومقدرة فائقة على الاهتداء في مجاهلها، واختراق متاهاتها المضلة دون دليل.

[25] - الأغاني 18/ 217 - وقوله "ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا" معناه أنه لا يمنعها من الرعي فهي لا تخاف منه.

والناظر في أخبار هؤلاء الصعاليك، المتتبع لظروف نشأتهم وحياتهم، يستطيع أن يلاحظ في وضوحٍ ثلاث طوائف مختلفة تتألف منها عصاباتهم:

طائفة "**الخلعاء والشذاذ**" الذين أنكرتهم قبائلهم، وتبرأت منهم، وطردتهم من حماها، وقطعت ما بينها وبينهم من صلةٍ، وتحلَّلت بهذا من العقد الاجتماعي الذي يربط بينها وبينهم، فأصبحت لا تحتمل لهم جريرة، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليهم، مثل حاجز الأزدي وقيس بن الحدَّادية وأبي الطَّمَحان القيني

وطائفة "**الأغربة**" السود الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم الإماء، فلم يعترف بهم آباؤهم العرب، ولم ينسبوهم إليهم؛ لأن دماءهم ليست عربية خالصة، وإنما خالطتها دماء أجنبية سوداء لا تصل من درجة نقائها إلى درجة الدم العربي، مثل تأبَّط شرًّا والشَّنْفرَى.

ثم طائفةُ **الفقراء** المتمردين الذين تصعلكوا نتيجة لتلك الظروف الاقتصادية المختلة التي كانت تسود المجتمع الجاهلي، ويمثلهم عروةُ بن الوَرْد ومن كان يلتفُّ حوله من فقراء العرب، وكذلك تلك المجموعة الكبيرة من صعاليكِ هُذيلٍ.

من هذه الطوائف الثلاث تألفت عصابات الصعاليك، وهي عصابات قطعت ما بينها وبين قبائلها من صلات، وانطلقت إلى الصحراء، كما تنطلق الذئاب الجائعة، لتشقَّ لنفسها طريقًا في الحياة، وقد جمع بينها – على اختلاف قبائلها – الفقر، والتَّشرُّدُ، والتَّمرُّدُ، والكفر بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي يؤمن بها المجتمع الذي خرجت عليه، والإيمان بأنَّ الحقَّ للقوة، وأن الضعيف ضائعٌ حقه في هذا المجتمع.

ومن الطبيعي أن تكون الأسباب التي جعلت هذه الطوائف المختلفة من الصعاليك تفقد توافقها الاجتماعي أسبابًا مختلفة، وذلك لاختلاف "المشكلة النفسية" التي تواجهها طائفة منها عن المشكلة التي تواجهها طائفة أخرى.

ولكن هذه المشكلات –على اختلافها– كانت تنتهي بطوائف الصعاليك جميعًا إلى هذا "اللاتوافق الاجتماعي" الذي كان يدفعها إلى أن يكون سلوكها الاجتماعي "سلوكًا صراعيًّا".

تدور كلمة "الصعلكة" في دائرتين: دائرة لغوية، ودائرة اجتماعية. وتبدأ الدائرتان من نقطة واحدة هي الفقر، فأما الدائرة اللغوية فتنتهي حيث بدأت، يبدأ الصعلوك فيها فقيرًا، ويظلُّ في نطاقها فقيرًا، يخدم الأغنياء أو يستجديهم فضل مالهم، ثم يموت فقيرًا، وأمَّا الدائرة الاجتماعية فتتسع وتبعد عن نقطة البدء لتنتهي، أو لتحاول أن تنتهي، بعيدًا عنها، يبدأ الصعلوك فيها فقيرًا، ثم يحاول أن يتغلَّب على الفقر الذي فرضته عليه أوضاع اجتماعية أو ظروف اقتصادية. وأن يخرج من نطاقه ليتساوى مع سائر أفراد مجتمعه، ولكنه –من أجل هذه الغاية– لا يسلك السبيل التعاوني. وإنما يدفعه "لا توافقه الاجتماعي" إلى سلوك السبيل الصراعي، فيتخذ من "الغزو والإغارة للسلب والنهب" وسيلة يشقُّ بها طريقه في الحياة، فيصطدم بمجتمعه الذي يرى في هذه الفوضوية الفردية مظهرًا من مظاهر التمرد. وتنقطع الصلة بين المجتمع والصعلوك، فيتخلى المجتمع عنه، ويحرمه حمايته، ويعيش الصعلوك خليعًا مشرّدًا، أو طريدًا متمرِّدًا، حتى يلقى مصرعه.

خصائص شعر الصعاليك:

إنّ انقطاع الصّلة بين الصعاليك وبين قبائلهم، من نواحٍ متعددة؛ اجتماعية واقتصادية و سياسية...أدّى إلى انقطاعها فنيا، وهذا الشرخ الذي حدث بينهما، ولّد لديهم رؤى مختلفة ومخالفة في كثير من الموضوعات التي جادت بها قرائحهم، وإنْ غابت بعض الرؤى، كما جاءت في شعر القبائل، فإنّ الصعاليك وضعوا لها معادلا موضوعيا، تُردَّد في شعرهم، بحكم المحيط الذي ألفوه، بطبيعته، ووحشه، وإنسه، وبحكم مغامراتهم، وتربصهم بالقبيلة وأملاكها، وقوافل تجارتها؛ فحضر –بشكل جليّ– الوحش الذي اختاروه أهلا بديلا، لأنهم لجأوا إلى أمكنته، وسكنوا كهفه، واعتصموا بأعالي الجبال .

فأصبح شعرهم يعبّر عن هذه الحياة الجديدة التي ألفوها بطبيعتها ووحشها، وتحرروا من سلطة القبيلة وشيوخها و سادتها، وأضحى " الأنا الفردي" طاغيا، وانتفى ضمير القبيلة من قاموسهم، وإن ورد ضمير الجمع في شعرهم، إنما هو "الأنا الجمعي" الذي يعبّر عن تجمع الصعاليك، حيث لا تربطهم رابطة القبيلة أو اللون أو النسب، وإنما رابطة جديدة على المفهوم الاجتماعي آنذاك، إنها رابطة الحِرفة، و الصّنف والمبدأ، وهي نسبهم الوحيد.

وهذا "الأنا الجمعي" الحاضر في شعرهم، إنّما هو تعبير عن التّكتّل والتجمع، والتمرد، هذا التمرد الذي حرّر الشعراء الصعاليك من السلطة، فجاء شعرهم ليمزق ستار السلطة وحجابها، وليخترق طقوسها ومكنوناتها فتحرروا من الذوبان في القبيلة، في الآخر، وصنع كل واحد من الصعاليك فرديته، إلى جانب شخصية الجماعة –جماعة الصعاليك –دون الذوبان فيها، وإنما ليتحرر كل واحدٍ بشخصيته ويعتز بها، وليس اعتزازه مرتبطا –بالضرورة –باعتزاز الآخر، فاختار الشاعر الصعلوك هذا الحيّز، "على أنّه جزء لا يتجزّأ من ذاتيته الأعمق غورا، بينما يؤلف الشكل الذي يتظاهّر به في نظره، هو كفنان، الوسيلة الأولى، اللازمة، العليا، لوضع المطلق، وروح الأشياء في متناول الإدراك و من هنا وقع الاختيار على الأسمى والأعلى والأرقى والأخوف والمهول؛ على الجبل وقمته ووحشه.[26]

لامية الشنفرى: هو من الأواس بن الحجر من الأزد شاعر من أهل اليمن معدود في العدائيين الذين لا تلحقهم الخيل. ويقال ان الشنفرى حلف ليقتلنّ مئة رجل من بني سلمان.[27]

وسبب تسميته بالشنفرى يعود إلى غلظ شفتيه وقد اختلف في نسبه فقيل أنه من سلمان وأنه هجرهم وحقد عليهم بعد اكتشافه أنه ليس منهم وقيل أنه من الأزد ولكنه هجرهم حين أغاضوه عرف بالعدو حتى ضرب به المثل فقيل: أعدى من الشنفرى[28] .تعتبر اللامية من أشهر ما قاله الشنفرى

[26] - هيغل: الفن الرمزي الكلاسيكي الرومانسي – ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثانية، 1986، ص.454.
[27] -جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية مج1 ص 140
[28] -ديوان الشنفرى: تحقيق إميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط2 1996 ص 12

أَقِيمُــوا بَنِــي أُمِّــي صُــدُورَ مَطِيِّــكُمْ فَإِنِّــي إلى قَــوْمٍ سِــوَاكُمْ لَأَمْيَــلُ

فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْــلُ مُقْمِــرٌ وَشُــدَّتْ لِطِيّــاتٍ مَطَايَــا وَأَرْحُلُ

وفي الأَرْضِ مَنْــأَى لِلْكَرِيــمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَــى مُتَعَــزَّلُ

لَعَمْــرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيــقٌ على امْرِىءٍ سَرَى رَاغِبَــاً أَوْ رَاهِبَــاً وَهْوَ يَعْقِــلُ

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُــون : سِيــدٌ عَمَلَّــسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُــولٌ وَعَرْفَــاءُ جَيْــأَلُ

هُــمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّــرِّ ذَائِــعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْــذَلُ

وَكُــلُّ أَبَــيٌّ بَاسِــلٌ غَيْــرَ أَنَّنِــي إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِــدِ أَبْسَــلُ

وَإِنْ مُــدَّتِ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُــنْ بِأَعْجَلِهِــمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

وَمَــا ذَاكَ إِلّا بَسْطَــةٌ عَــنْ تَفَضُّــلٍ عَلَيْهِــمْ وَكَانَ الأَفْضَــلَ المُتَفَضِّــلُ

ثَــلاَثَــةُ أَصْحَــابٍ : فُــؤَادٌ مُشَيَّــعٌ وأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْــرَاءُ عَيْطَــلُ

هَتُــوفٌ مِنَ المُلْــسِ المُتُــونِ تَزِينُــها رَصَائِعُ قد نِيطَــتْ إليها وَمِحْمَــلُ

إذا زَلَّ عنها السَّهْــمُ حَنَّــتْ كأَنَّــها مُــرَزَّأَةٌ عَجْلَــى تُــرِنُّ وَتُعْــوِلُ

وَأَغْدو خَمِيــصَ البَطْنِ لا يَسْتَفِــزُّنِي إلى الزَادِ حِــرْصٌ أو فُــؤَادٌ مُوَكَّــلُ

وَلَسْــتُ بِعَــلٍّ شَــرُّهُ دُونَ خَيْــرِهِ أَلَفَّ إذا ما رُعْتَــهُ اهْتَــاجَ أَعْــزَلُ

وَلَسْــتُ بِمِحْيَارِ الظَّــلاَمِ إذا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسّيفِ يَهْمَاءُ هوْجَلُ

وَأَسْتَــفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَــهُ عَلَــيَّ مِنَ الطَّــوْلِ امْــرُؤٌ مُتَطَــوِّلُ

ولولا اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لم يُلْــفَ مَشْــرَبٌ يُعَــاشُ بِــه إلاّ لَــدَيَّ وَمَأْكَــلُ

وَلَكِنّ نَفْسَــاً مُــرَّةً لا تُقِيــمُ بِــي علــى الــذامِ إلاَّ رَيْثَمَــا أَتَحَــوَّلُ

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَــةُ مــارِيٍّ تُغَــارُ وتُفْتَــلُ

وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيــدِ كما غَــدَا أَزَلُّ تَهَــادَاهُ التنَائِــفَ أَطْحَــلُ

غَدَا طَاوِيــاً يُعَــارِضُ الرِّيــحَ هَافِيــاً يَخُــوتُ بأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويُعْسِــلُ

فَلَما لَوَاهُ القُــوتُ مِنْ حَيْــثُ أَمَّــهُ دَعَــا فَأَجَابَتْــهُ نَظَائِــرُ نُحَّــلُ

مُهَلَّلَــةٌ شِيــبُ الوُجُــوهِ كأَنَّــها قِــدَاحٌ بأيــدي ياسِــرٍ تَتَقَلْقَــلُ

أوِ الخَشْــرَمُ المَبْعُــوثُ حَثْحَثَ دَبْــرَهُ مَحَابِيــضُ أَرْدَاهُــنَّ سَــامٍ مُعَسِّــلُ

مُهَرَّتَــةٌ فُــوهٌ كَــأَنَّ شُدُوقَــها شُقُوقُ العِصِــيِّ كَالِحَــاتٌ وَبُسَّــلُ

فَضَــجَّ وَضَجَّــتْ بالبَــرَاحِ كأَنَّــها وإيّــاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَــاءَ ثُكَّــلُ

وأَغْضَى وأَغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ بــه مَرَامِيــلُ عَــزَّاها وعَزَّتْــهُ مُرْمِــلُ

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ وَلَلْصَبْرُ إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ

وَفَــاءَ وَفَــاءَتْ بَــادِراتٍ وَكُلُّــها على نَكَــظٍ مِمَّا يُكَاتِــمُ مُجْمِــلُ

وَتَشْرَبُ أَسْآرِي القَطَا الكُــدْرُ بَعْدَما سَرَتْ قَرَبَــاً أَحْنَاؤهــا تَتَصَلْصَــلُ

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَــا وأَسْدَلَــتْ وشَمَّــرَ مِنِّي فَــارِطٌ مُتَمَهِّــلُ

فَوَلَّيْــتُ عَنْها وَهْيَ تَكْبُــو لِعُقْــرِهِ يُبَاشِــرُهُ منها ذُقُــونٌ وَحَوْصَــلُ

كــأَنَّ وَغَــاها حَجْرَتَيــْهِ وَحَوْلَــهُ أَضَامِيــمُ مِنْ سَفْــرِ القَبَائِــلِ نُــزَّلُ

تَوَافَيْــنَ مِنْ شَتَّــى إِلَيــْهِ فَضَمَّــهَا كما ضَــمَّ أَذْوَادَ الأَصَارِيــمِ مَنْهَــلُ

فَغَــبَّ غِشَاشَــاً ثُمَّ مَــرَّتْ كأَنّــها مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ

وآلَفُ وَجْــهَ الأَرْضِ عِنْدَ افْتَرَاشِــها بأَهْــدَأَ تُنْبِيــهِ سَنَاسِــنُ قُحَّــلُ

وَأعْدِلُ مَنْحُوضــاً كــأنَّ فُصُوصَــهُ كعَابٌ دَحَاهَا لاعِــبٌ فَهْيَ مُثَّــلُ

فإنْ تَبْتَئِــسْ بالشَّنْفَــرَى أمُّ قَسْطَــلٍ لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أطْــوَلُ

طَرِيــدُ جِنَايَــاتٍ تَيَاسَــرْنَ لَحْمَــهُ عَقِيرَتُــــهُ لأيِّــها حُــمَّ أَوَّلُ

تَنَــامُ إذا مَا نَــامَ يَقْظَــى عُيُونُــها حِثَاثَــاً إلى مَكْرُوهِــهِ تَتَغَلْغَــلُ

وإلْــفُ هُمُــومٍ مــا تَــزَالُ تَعُــودُهُ عِيَاداً كَحُمَّــى الرِّبْــعِ أو هِيَ أثْقَلُ

إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُــها ثــمّ إنّــها تَثُــوبُ فَتَأتي مِنْ تُحَيْتُ ومِنْ عَــلُ

فإمّا تَرَيْنِي كابْنَــةِ الرَّمْــلِ ضَاحِيَــاً على رِقَّــةٍ أحْفَــى ولا أَتَنَعَّــلُ

فإنّي لَمَولَى الصَّبْــرِ أجتــابُ بَــزَّهُ على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ

وأُعْــدِمُ أَحْيَانــاً وأَغْنَــى وإنَّمــا يَنَــالُ الغِنَى ذو البُعْــدَةِ المُتَبَــذِّلُ

فلا جَــزِعٌ مِنْ خَلَّــةٍ مُتَكَشِّــفٌ ولا مَــرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أتَخَيَّــلُ

ولا تَزْدَهِي الأجْهــالُ حِلْمِي ولا أُرَى سَؤُولاً بأعْقَــاب الأقَاويلِ أُنْمِــلُ

ولَيْلَةِ نَحْــسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّــها وَأَقْطُعَــهُ اللَّاتــي بِــهَا يَتَنَبَّــلُ

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتــي سُعَــارٌ وإرْزِيــزٌ وَوَجْــرٌ وَأفَكَلُ

فأيَّمْــتُ نِسْوَانَــاً وأيْتَمْــتُ إلْــدَةً وَعُــدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ أَلْيَــلُ

وأصْبَــحَ عَنّــي بالغُمَيْصَــاءِ جَالســاً فَرِيقَــانِ: مَسْــؤُولٌ وَآخَرُ يَسْــأَلُ

فَقَالُــوا: لَقَدْ هَــرَّتْ بِلَيْــلٍ كِلَابُنَــا فَقُلْنَــا: أذِئْبٌ عَسَّ أمْ عَسَّ فُرْعُــلُ

فَلَمْ يَــكُ إلاَّ نَبْــأَةٌ ثُــمَّ هَوَّمَــتْ فَقُلْنَا: قَطَــاةٌ رِيــعَ أمْ رِيعَ أجْــدَلُ

فَإنْ يَــكُ مِنْ جِــنٍّ لأبْــرَحُ طارِقــاً وإنْ يَكُ إنْسَــاً ما كَها الإنسُ تَفْعَلُ

المحاضرة الرابعة: (04)

الشعر في صدر الإسلام: شعر الفتوحات

ظهر الإسلام في جزيرة العرب فشغل أهلها في أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعظم أيام الخلفاء الراشدين بالفتوح والجهاد والأسفار. وجاء الإسلام بالقرآن والحديث فأخذ بمجامع قلوبهم واستقراّ في المكان الأول من أذهانهم وغيّرا من عاداتهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم فظهر ذلك في علومهم وآدابهم.[29]

قال مصطفى السيوفي: " لقد حظر عليهم الإسلام أن يلمّوا بما عفّ لفظه وشرف معناه من أجل ذلك تحولوا عن معانيهم الشعرية التي أجادوها وأبدعوا فيها إلى المعاني التي أقرّها الدين الحنيف ويرتضيها بل إن من شعرائهم من امتنع عن قول الشعر في الإسلام لأن الله أبدله به خيرا "[30].

هكذا فلمّا منّ الله على عباده بالإسلام، بعد أن استحكمت الجاهلية وأفسدت في الأرض والأنفس، كان لا بدّ لإعلاء هذا الدِّين الحنيف ونشره من بسط قوّة الإسلام ومدِّ سلطانه بالسَّيف، فتقدَّمت طلائع الأقلام من طلائع السُّيوف، فدافع الشُّعراء المسلمون عن الدِّين الحنيف بالشِّعر، وانتصروا للإسلام وللرَّسول الكريم محمَّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم–، فكانت كلماتهم سهامًا أصابت أعداء الإسلام قبل أن تصيبهم السُّيوف، وتغنّى المسلمون في انتصاراتهم في هذا النّوع الشِّعريّ الغنائيّ الحماسي، وهو يختلف عن شعر الملاحم الذي يميل فيه الشُّعراء إلى التعظيم والتهويل والإغراق في الخيال.[31] قد بارك النّبي الكريم هذه الحماسة فيهم وشجَّعهم على الذّود عن الإسلام، ومن ذلك "أنَّ رسولَ اللهِ –صلّى اللهُ عليهِ وسلّم– قالَ لحسَّانَ بنِ ثابت: هاجِهم أو اهجُهم، وجبريلُ معك"، ممّا يدلُّ ما لهذا الشِّعر من أثر، وما كان له من وقع قويٍّ في نفوس

---

[29] -جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ص 185

[30] -مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في صدر الإسلام الدار الدولية للاستثمارات الثقافية مصر ط1 2008 ص38/37

[31] - النعمان عبد المتعال القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، صفحة 20. بتصرّف.

الأعداء، وكتب شعراء المسلمين قصائدَ كثيرةً في ذلك، أُدرِجت فيما بعد تحت مسمّى شعر الفتوح.

ابتعد الشعراء في أشعارهم تلك عن العصبيّة القبليّة والتّطرُّف العرقيّ والأهواء الشّخصيّة لتتّخذ أشعارهم بعدًا دينيًّا، حيث صدرت عن عقيدةٍ راسخةٍ وإيمانٍ قويٍّ ثابت، وقد ضاع الكثير من شعر الفتوح لأسبابٍ كثيرةٍ ربّما كان أبرزها استشهاد الشُّعراء الأوائل في الفتوح فلم يصل ممّا كتبوا إلّا أبيات متفرِّقة، بالإضافة إلى انصراف الشّعراء الفرسان إلى القتال في الحروب واشتغالهم عن فنِّ القول، كما ركّز المؤرِّخون على الأحداث المهمّة في الفتوح فلم يعيروا الشِّعر اهتمامًا إلّا فيما يخدم الحدث المرويّ، كما أنّ فترة الفتوحات كانت قصيرةً امتدّت لستِّ سنواتٍ فقط.[32] على قلّة هذه الأشعار إلّا أنّها تحمل قيمةً وجدانيةً وتاريخيّةً مهمّة، فإنّ فيها الكثير من وقائع الفتوح وأحداث المعارك ممّا يجعلها وثائق تاريخيّة، بالإضافة إلى ما تكشفه من مشاعر الفاتحين وما ترسمه من أنماط حياة المقاتلين وظروفهم في ذلك الزّمان، وكما تُبيّن مدى ألم ذوي الشُّهداء وأحبابهم ومشاعر الفراق واللّوعة والحنين، كما صوّرت تلك الأشعار الطّبيعة والعمران في المناطق المفتوحة [33].

وبناء على ذلك انبرت مجموعة من الشعراء يدافعون عن هذا الدين الجديد وكان من أبرزهم الشاعر حسان بن ثابت حيث سخر شعره لخدمة الدين الجديد فهجا قريشا هجاء لاذعا.

وسلك الصحابة في تعاملهم مع الشعر مسلك نبيهم صلى الله عليه وسلم فجاء شعرهم بعيدا عن الفحش متقيدا بالصبغة الإسلامية وشمل كل مناحي الحياة بفرحها وحزنها ورضاها وسخطها معا فكانت معانيه عتابا واستعتابا ووصفا وحكمة[34].

خصائص شعر الفتوح:

[32] - هدى التميمي: الأدب العربي عبر العصور، صفحة 167. بتصرّف.
[33] - يوسف بكار: في الشعر العربي القديم، صفحة 47. بتصرّف.
[34] -محمد الرابع الحسني الندوي : الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط1 1985 ص 63

اتّسم شعر الجهاد والفتوح الإسلاميّة بسماتٍ عديدةٍ ميّزته عن سواه، يمكن إجمال تلك السِّمات في:

01- الغنى بالقيم الإسلاميّة والاحتكام إلى روح العقيدة الإسلاميّة.

02- الاقتصاد في اللّفظ والبُعد عن المماطلة والتّخلص من المقدِّمات الّتي كانت في العصر الجاهليّ وفي عصر صدر الإسلام.

03- اعتماد موضوعٍ واحدٍ في الغالب، ووحدة الغرض في المقطّعات.

04- صدور تلك الأشعار عن عاطفةٍ صادقةٍ، إذ جاءت عفو الخاطر تظهر فيها الرُّوح الجهاديةّ والإقبال على الغاية. صدور تلك الأشعار عن روح الجماعة الّتي أذابت العصبيّات القبليّة.

05- الابتعاد عن التّكلف والصّنعة، فجاءت سهلةً واضحةً لا تُعنى بالكثير من الزّخرفة.

06- الاشتمال على أخبار الجيوش والخطط الحربيّة، وعادات البلاد المفتوحة ودياناتها، وبيان أسباب النصر والهزيمة.

موضوعات شعر الفتوحات الإسلامية:

طرحت أشعار الفتوح موضوعاتٍ عديدةً عن الشّوق والحنين والجهاد والفداء والبطولة، وقد سجّلت بعمومها وقائعَ أرّخت لتلك المدّة. ولعلّ من أبرز الموضوعات الّتي دارت حولها تلك المقطّعات الشّعريّة هي: الإصرار والتّصميم على الجهاد، وتلبية نداء الله، وهو ما نراه في أبيات النّابغة الجعديّ، وفيها يتحدّث عن زوجه الّتي ألحّت عليه بالبقاء في البيت بعيدًا عن ميدان السِّلاح، حيث قال:[35]

باتتْ تُذكِّرُني باللّهِ قاعدةً والدّمعُ ينهلُ من شأنيهِما سُبُلا

[35] -يوسف بكار: في الشعر العربي القديم ص 47

يا ابنةَ عمِّي كتابُ اللهِ أخرجَني كُرهًا وهلْ أمنعنّ اللهَ ما فعلا؟

فإنْ رجعتُ فربُّ النّاسِ أرجعَني وإنْ لحقتُ بربّي فابتغِي بَدَلا

ما كنتُ أعرجَ أو أَعمَى فيعذُرَنِي أو ضارعًا من ضنىً لم يستطعْ حولا

برز الفخر في أشعار الفتوح بصورةٍ كبيرة، كيف لا وفي الجهاد تتجلّى أسمى معاني البطولة، فإنّ الرُّوح أغلى ما يمتلكه الإنسان وحين يستغني عنها فداءً لغايةٍ جليلةٍ فإنّ هذا ممّا يدعو للفخر ويحمل صاحبه على المباهاة بعمله الشّريف، ونجد ذلك في قول الشّاعر أبي محجن الثّقفيّ الذي شارك في القادسيّة وأظهر شجاعةً وبطولةً، وقد قال في ذلك:[36]

لَقَد علِمتْ ثقيفٌ غيرُ فخرٍ بأنّا نحنُ أكرمُهم سُيُوفا

وأكثرُهم دروعًا سابغاتٍ وأَصبرُهم إذا كَرِهوا الوُقُوفا

وقد دارتِ المعاركُ في بلادٍ كثيرةٍ ابتعد فيها المحاربون عن أوطانهم، فاشتعلت جذوة الشّوق والحنين في قلوبهم، وكتبوا في ذلك أبيات تقطر إحساسًا ورقّةً، ومن ذلك ما قاله أحد الشُّعراء في حنينه إلى موطنه في (نجد)، حيث قال:[37]

أحنُّ إلى أرضِ الحجازِ وحاجتي خيامٌ بنجدٍ دونَها الطّرفُ يَقصرُ

أَفِي كُلِّ يومٍ نظرةٌ ثمّ عبرةٌ لعينيكَ مَجرَى مَائِها يتحدّرُ؟

متى يستريحُ القلبُ إمّا مجاورٌ بحربٍ، وإمّا نازحٌ يتذكّرُ

وقد اشتكى المحاربون من بعض القادة والولاة ممّن لم ينصفوا في توزيع الغنائم، وسجّل بعضهم هذه الشّكاوى في أشعاره، وشكّلت تلك الشكاوى موضوعًا مستقلًّا في شعر الفتوح، يكشف عن خلفيّات المعارك وما وراءها من مشكلاتٍ إداريّةٍ.

---

[36] -يوسف بكار: في الشعر العربي القديم ص 47

[37] -نفسه ص48

المحاضرة الخامسة (05)

المراثي النبوية:

عرف الرثاء منذ العصر الجاهلي فكان يعني البكاء على الفقيد والتفجع لموته وكانت معانيه غير مهذبة ومع مجيء الإسلام تهذب بحلة جديدة مخالفة عن تلك التي تميز بها في الجاهلية، فقد صار يصدر عن نفس مؤمنة بقضاء الله وقدره . وعقب وفاة الرسول "صلى الله عليه وسلم" ظهرت المراثي النبوية وهي :" تلك النصوص الشعرية التي قالها الشعراء في رثاء النبي "صلى الله عليه وسلم" فكانت نصوصهم الشعرية لينة توحي بحزنهم وألم الفقد وفي نفس الوقت تدل على فضائل الحبيب المصطفى منها (الهادي ، النور، الإمام وغيرها.) إذ ذُكرت الكثير من النصوص الشعرية للشعراء في رثاء سيد الخلق خلال عصر صدر الإسلام على رأسها مراثي "حسان بن ثابت" .

أما ما والى العصر الإسلامي من عصر أموي وعباسي فقد اضمحلت واختفت تقريبا وذلك لأسباب عدة أهمها : انتقال الشعراء آنذاك لرثاء الخلفاء . وتظهر نصوص المراثي النبوية في صورة جمالية فنية راقية. إذا استغل الشعراء في تصويرهم لمواقفهم العاطفية الحزينة المتألمة مختلف الصور الفنية المعبرة عن ذلك فأخذوا من الصور البيانية مرتكزا للتعبير عن حالتهم النفسية فأخرجوا تلك الصور العالقة في نفوسهم على شكل تعابير مجازية وتشبيهيه واستعارية وكنائية فكانت هذه الصور متنفسا لهم وتعبيرا للوعي الباطني فأضّفْت سحرا بيانيا خاصا على نصوصهم ،وتعتبر اللغة الشعرية إحدى العوامل الجمالية البارزة في مراثيهم بما اشتملته من انزياح تركيبي من تقديم وتأخير وتكرار والتفات وغيرها . عبروا من خلالها عن همومهم النفسية.

بكاء الرسول صلى اهلل عليه وسلم:

كان لوفاة الرسول صلى اهلل عليه وسلم هزة عنيفة في المجتمع الإسلامي آنذاك، وتحولت إلى مآتم تضج بالندب والبكاء، فالتاعت القلوب وتقرحت بيوت الصحابة ومجتمعاتهم وانطلقت القرائح تندب فقيد الإنسانية ومعلمها الأكبر ورسولها الأشرف ودليلها الهادي خرج الصحابة يصلون عليه ويشيعونه إلى مثواه العطر بعيون باكية ، واشتعلت نيران الحزن في كل صدر وفي كل قلب ،ومن أجود ما قيل في ذلك عقب وفاته عليه الصلاة والسلام قصيدة حسان بن ثابت التي جاء فيها

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري : بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

ولا تمتحى الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وواضح آثار وباقي معالم وربع له فيه مصلى ومسجد

بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد

عرفت بها رسم الرسول وعهده و قبرا بها واراه في الترب ملحد

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت عيون ومثلاها من الجفن تسعد

مفجعة قد شفها فقد أحمد فظلت لآلاء الرسول تعدد

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

تهيل عليه الترب أيد وأعين عليه وقد غارت بذلك أسعد

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة عشية علوه الثرى لا يوسد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يبكون من تبكي السماوات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

تقطع فيه منزل الوحي عنهم وقد كان ذا نور يغور وينجد

إمام لهم يهديهم الحق جاهدا معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا

عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

وما لك لا تبكين ذا النعمة التي على الناس منها سابغ يتغمد

فجودي عليه بالدموع وأعولي لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

وما فقد الماضون مثل محمد و لا مثله حتى القيامة يفقد

إذن المراثي النبوية : هي كل : " شعر قيل في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا عليه، أو ثناء ، أو ترحما، أو غير من ذلك من معاني الرثاء[38] فقد خلّفت وفاته حزنا عميقا على نفوس الصحابة والمسلمين أجمعين بعد تعودهم عليه بينهم ، يوجههم و يحوطهم برعايته الشريفة، ما دفع بعدد من أصحابه ومن الشعراء لنظم القصائد معبرين عن عمق الأسى الذي خيم على شبه الجزيرة العربية، وعن الفراغ الذي وقع بعد وفاته عليه أفضل الصالة والسالم.

[38] - محمد شمس عقاب : المراثي النبوية في أشعار الصحابة ، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ط1 2013 ص 20

المحاضرة السادسة (06)

شعر النقائض:

تقديم

يبدو التنافس اليوم على التأثير في الرأي العام ذا أثر واضح لا تكاد تخطئه عين المتابع، ذلك التأثير الذي يبدأ بالأفراد المشاهير في وسائل التواصل الاجتماعي وينتهي بالشبكات الإعلامية الكبرى، فالتأثير في الفضاء العام يعتبر لأصحاب المشاريع والأفكار والأيديولوجيات هدفا ذهبيا، ولعل الهجوم على الآخر إعلاميا، وخلق الأكاذيب حوله يعد من فنون "الهجاء" الأكثر حداثة في عصرنا هذا.

قديما استغلت السلطة والمجتمع الشعراء لكونهم الأداة الإعلامية الأكثر شهرة، لتحقيق ذات الأهداف، دفاعا عن القبيلة أو الحط من شأن القبائل/الأشخاص المنافسين، فضلا عن دعم خطاب وأفكار وأيديولوجية السلطة إعلاميا بين الجماهير.

ولا يذكر اسم جرير والفرزدق إلا ويرد على الخاطر تلك الأهداف السالفة التي تحققت على أيديهما، بالافتخار بقبائلهما والانتقاص من الآخر، ومدح السلطة الأموية ممثلة في الولاة والخلفاء، واشتهر بينهما نمط من الشعر يسمى بـــ"النقائض"، والنقائض لون من ألوان الهجاء، وهو الفن القديم في الشعر العربي الذي يحط من شأن الآخر، ويستصغر مكانته، ويبين مثالبه، ويكشف عيوبه.

عاش جرير والفرزدق في القرن الأول الهجري وعقدا من القرن الثاني من الهجرة في مدينة البصرة جنوب العراق، وهي المدينة التي كانت تموج حينذاك بالحركات السياسية، والفرق الدينية، والعصبية القبلية في ظل دولة بني أمية، وباتت القبائل التي استقرت فيها، وشكلت أحياء مستقلة بها، تتزاحم في المكانة والسيادة، وتستذكر أمجادها السالفة، وماضيها العتيد، واستكان

القوم إلى شيء من الدعة، ووجدت هذه القضايا متنفسا لها فطفت على السطح، واحتال القوم بوسائل لقتل فراغهم، وللتعبير عما في نفوسهم من حنين إلى ماضيهم القريب.

كان خير وسيلة تحقق لهم ذلك وجود منبر حر يلتقون فيه، ويتبارون ويتناظرون كل بما يموج في صدره، وما يعتقده ويتطلع إليه، وقد كان سوق المربد هو المنبر الإعلامي الذي عاد بهم إلى سوق عكاظ في الجاهلية، وكان الشعر هو الموضوع الأول والأهم في تلك اللقاءات ليعبر الشعر عما راج في تلك الأوقات من مظاهر اجتماعية أو سياسية انتشرت في ثنايا المجتمع.

الفرزدق وجرير.. آلة الإعلام القديمة

قال بعض الأدباء: "إن الناس أجمعوا على أن أشعر أهل الإسلام: الفرزدق، وجرير، والأخطل؛ وذلك لأنهم أعطوا حظا في الشعر لم يعطه أحد في الإسلام، مدحوا قوما فرفعوهم، وذموا قوما فوضعوهم، وهجاهم قوم فردوا عليهم، فأفحموهم، وهجاهم آخرون، فرغبوا بأنفسهم عن جوابهم وعن الرد عليهم، فأسقطوهم، وهؤلاء شعراء أهل الإسلام، وهم أشعر الناس بعد حسان بن ثابت .

كان **الفرزدق** من بني تميم، حيث نشأ في بيت كريم، مآثره ومفاخره لا تدفع، وكان لذلك أثر عميق في نفسيته إذ كان يعتد بآبائه اعتدادا شديدا، كما كان يعتد بعشيرته وقبيلته، حتى إنه يعد أضخم صوت لتميم في ذلك العصر، وجعله ذلك يتمسك بمآثر أهله وكرمهم المسرف، فإذا باع إبله نثر أموالها على الناس؛ لينتسب فيهم، وظل يجير على قبر أبيه غالب على نحو ما كان أجداده يجيرون، ولما توفي صديقه بشر بن مروان نحر ناقته على قبره كما كان يصنع الجاهليون.

فكانت أخلاق الفرزدق من هذه الناحية تشبه أخلاق أهل الجاهلية، وبكل ما تنطوي عليه هذه الأخلاق من إثم، فقد عرف بفسقه وشربه للخمر التي حرمها الإسلام، وأيضا بكل ما ينطوي في هذه الأخلاق من عصبية وغلظة، وهو من هذه الناحية يمثل البدوي التميمي شديد الشكيمة الذي

لا يدين بالطاعة للسلطان، ولعله من أجل ذلك ظل طويلا بعيدا عن قصر بني أمية في دمشق كأنه كان يحس أنه من أسرة لا تقل عن أسرة بني أمية شرفا وسيادة.

أما **جرير** ذلك الشاعر الذي ينحدر من تميم، لكن من عشيرة كليب اليربوعية، فلم يكن لآبائه ولا لعشيرته ما لآباء الفرزذق وعشيرته مجاشع من المآثر والأمجاد، أما العشيرة فعرفت بأنها كانت ترعى الغنم والحمير، وكان أبوه عطية متخلفا في المال بخيلا، وجده الخطفي كان له مال كثير من الغنم والحمير، على أن ما اشتهر به بيت عطية أبو جرير وجده الخطفي أنه وأحفاده كانوا من أشعر الناس، ظل شعرهم قويا صداحا، يتوارثه الأبناء عن الأجداد حتى العصر العباسي بعد وفاة جرير بنصف قرن أو يزيد.

ولهذا السبب كان جرير قوي الشعر في فروعه وألوانه، واشتهر مع الفرزدق بالهجاء والتعيير، بل إنه لم يكن يهاجي الفرزدق وحده، بل مع غيره من الشعراء.

شعر النقائض؟

هي معركة شعرية في عصر بني أمية اشتبك فيها أعظم شاعرين في العصر الأموي وكلاهما من بني تميم، الشاعر همام بن غالب الدارمي التميمي المعروف بالفرزدق والشاعر جرير بن عطية اليربوعي التميمي. وكانت هذه المعركة الشعرية تعمد إلى هجاء كل من الشاعرين لصاحبه والافتخار عليه وفي المقابل الشاعر الآخر يرد على صاحبه، دامت النقائض الشعرية بين الفرزدق وجرير إلى أن توفي الأول سنة 114 هجرية،.

شعر النّقائض هي مُصطلح أدبيّ يُطلق على نمطٍ معيّن من الأنماط الشعريّة، وظهرت في البيئة الأمويّة بين ثلاثة من فحول الشّعراء العرب المعروفين، وسُمّيت بالنّقائض؛ لأنها تُقال لتنقض ما يقوله الآخر.

تُعدّ النّقائض من الفنون الشعريّة المهمّة؛ وذلك لما فيها من قصص وعبر وحكم، إضافةً إلى كونها منبعاً للمعاني والصّور الفنيّة المجسّدة للفكرة والمعنى خير تجسيد.

خصائص شعر النّقائض:

&- التنوّع في الأغراض الشعريّة في القصيدة سواءً: هجاء، أو رثاء، أو مدح، أو وصف، وذلك سيراً على تقاليد القصيدة العربيّة التي تميّزت بتنقّلها من موضوع إلى آخر في القصيدة نفسها.

&- التأثّر بأسلوب المناظرة والّذي يعتمد على الجدل على ثقة بصحّة الموقف والحُجّة، ويعود هذا التأثر إلى تطوّر الحياة الفكريّة والعقليّة في البصرة، وتأثّر الشعراء بالعلماء والفقهاء المسلمين.

&- التّكرار في معاني الهجاء أو الفخر.

&- كثرة المعاني الجاهليّة في النّقائض الأمويّة.

&- تميّز النّقائض بأنّها قصائد طويلة تستوعب المعاني، وتكشف عن مثالب قبيلة الخصم وخِصالها، وتستقصي أحداث حياته وتنتقدها.

&- غنى النّقائض بالمعاني اللّغوية، حتّى قيل: لولا شعر الفرزدق لضاع ثلث اللغة. اختلاف الشّعراء الثلاثة في طريقة التّعبير، فمنهم من اعتمد الخطاب المباشر، أو الحديث بلغة الجماعة الغائبين، أو بلغة الفرد.

&- اعتماد الشّعراء على السّخرية في نقض الخصم، وهذا إن دلّ فيدلّ على تفتّح ذهن الشاعر العربيّ في استنباط الصّور وتبسيطها.

&- النّقائض سجلّ تاريخيّ لكلّ شاعر من الشّعراء.

العوامل المؤدّية إلى نشأة النّقائض:

&- العصبيّة القبليّة: التي ما زالت تجري في عروق العرب منذ الجاهليّة؛ سواءً في تمجيد القبيلة، أو التّفاخر بالأنساب، أو التحدث عن الشّرف والرِّفعة في الحرب.

&- العوامل الاجتماعيّة: التي أدّت إلى اختلاط المجتمع البدويّ بالمجتمع المدنيّ، ورافقها الغناء، والطّرب، والمجون، والتّرف.

&- تطوّر الحياة العقليّة والفكريّة: حيث ساعدت على الحوار والجدل، وشيوع المناظرات السياسيّة في التشريع والفقه والعقيدة في ذلك العصر.

&- العوامل الاقتصاديّة: هي متعلّقة بأسباب المعيشة، والبحث عن طريقة لكسب المال.

&- العوامل الذاتيّة: فكلّ شاعر من الشعراء يرغب في إظهار قدرته ومهارته الشّعرية في الابداع والتصوير.

من نقائض جرير والفرزدق

يقول جرير يهجو الفرزدق:[39]

أعددت للشعراء سما ناقـــــعا فسقيت آخرهم بكـــأس الأول

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضغا البغيث جدعت أنف الأخطل

أخزى الذي سمك السماء مجاشعا وبنى بناءك فى الحضيض الأسفل

ولقد بنيت أخـــس بيت يبتنى فهدمـــت بيتكم بمثلى يذبـــــل

إنى انصببت من السماء عليكم حتى اختطفتك يا فرزدق من عـــل

أحلامنا تزن الجبال رزانه ويفوق جاهلنا فعال الجهّـــل

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا علاك فماله من منقـــل

وردّ الفرزدق على جرير:[40]

إن الذي سمَك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

[39] -ديوان جرير: تح كرم البستاني دار بيروت للطباعة والنشر بيروت لبنان 1986ص 356

[40] -ديوان الفرزدق: شرح علي فاعور دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط11987 ص 494

بيتاً بناه لنا المليك وما بنى حكم السماء فإنه لا ينقل

بيتاً زرارة محتبٍ بفنائه ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشل

لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم أبداً إذا عد الفعال الأفضل

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

وإذا بذخت فرايتي يمشي بها سفيان أو عدس الفعال وجندل

الأكثرون إذا يعد حصاهم والأكرمون إذا يعد الأول

إن الزحام لغيركم فتحينوا ورد العشي إليه يخلو المنهل

أحلامنا تزن الجبال رزانةً وتخالنا جناً إذا ما نجهل

فادفع بكفك إن أردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

المحاضرة السابعة (07)

الشعر العذري والشعر العمري:

بين الغزل العذري والغزل العمري:

ذهب بعض من الدارسين إلى أن الغزل العذري ظاهرة انفردت بها البادية العربية في العصر الأموي وحده ، أو هو لون انفردت به قبيلة عذرة من بين القبائل العربية الأخرى ، ومن خلال تتبع الباحث للشعر العربي القديم وجد أن جذور هذا الغزل تمتد إلى العصر الجاهلي . وأن المجتمع الجاهلي عرف طائفة من الشعراء العشاق أطلق عليهم اسم " المتيّمون " ، وقد كانت حالة هؤلاء المتيّمين بما فيها " من قصص وشعر " متشابهة ومتماثلة مع حالة العذريين الأمويين . فلا يعقل أن تقوم ظاهرة دون أن تكون لها جذور تستند إليها ، وإن كانت هذه الجذور بسيطة لا تصل إلـــــى المستوى المطلوب إلاّ أنها تمثل أصل تلك الظاهرة. يُنسب الغزل العذري إلى قوم بني عُذرة الذين سكنوا وادي القرى في شمال المدينة المنورة، ورُوي أنّ أحدَهم سأل أعرابياً: ممّن الفتى؟ قال: من قوم إذا عشقوا ماتوا. أمّا بدايات هذا الغزل ترجع إلى العصر الجاهلي التي نراها واضحة في القصائد الشعرية التي وصلتنا، إلّا أنّه ترعرع وبرز، وتم تحديد ملامحه الشعرية في العصر الإسلامي وأوائل العصر الأمويّ، ورجع الأمر في ظهوره أن الإسلام هذّب الألفاظ الشعرية، ورفض الوصف الفاحش في الشعر كما في غيره، فاتّجه الشعراء لوصف عذابات حبّهم بالحديث عن لوعة الفراق وألم الاشتياق، وصدّ المحبوبة، ليربط كل هذه الآلام بالأمل يوماً أن يلين قلبها وتصله، فيذكّر الشاعر حبيبته كيف نشآ معاً في بيت واحد وأن لا سبب لديها للصدّ.

خصائص الشعر العذري: امتاز الشعر العذري عن الغزل الصريح بأمور كثيرة أهمّها ما يأتي:[41]

الاقتصار على محبوبةٍ واحدة: فلم يُعرف الشاعر العذريّ بتعدّد علاقاته بالنساء كما في العصر الجاهلي أمثال امرئ القيس، بل كان يحيا حياته كلّها مُقتصرا على محبوبة واحدة لا يتركها، سواء انتهى أمرهما بالزواج أم لا.

وحدة الموضوع: خرجت القصيدة الغزلية على النمط الذي كان متعارفاً عليه في العصر الجاهلي، فلم تعد تبدأ بالمقدّمة الطلليّة، ثم تنتقل إلى الفخر والمدح، وتنتهي بالموضوع الرئيس للقصيدة، بل كانت تتحدّث عن حبّ الشاعر وعواطفه ومشاعره، واصفاً ألمه وشوقه ولوعة انتظاره، من أول بيت في القصيدة حتى آخرها.

بساطة المعاني والسهولة والوضوح: فالأفكار التي تنبع من القلب لا تحتاج إلى صنعة وتعقيد وإعمال الفكر، فهي تعبّر عمّا يُحسّ به الشاعر وما يؤلمه.

الصدق: لأن العاطفة الصادقة مرتبة بالبساطة والوضوح؛ فمن يقتصر على محبوبة واحدة طوال الحياة لابد أن يكون صادقاً في مشاعره.

العفّة: ابتعد الشاعر العذري عن الوصف الحسّي كما في الغزل الصريح، واهتمّ بما يشعر به اكثر من اهتمامه بجمال محبوبته، فالحب لديه عاطفة قويّة صادقة تتجاوز الحاجة الحسّية والجمال الجسدي.

الحزن والتشاؤم: أغلب قصص الشعراء العذريين لم تنته بزواجهم من محبوباتهم، وتمّت معاقبة الشاعر على ذكره محبوبته في شعره بمنعه من زواجهما، ولهذا، نجد طابع الشؤم مسيطراً على الطابع العام للقصيدة الغزلية.

البواعث الموضوعية للغزل العذري:

[41] - عبد جلال عيد (9\4\2011)، "ظاهرة الغزل العذري"، صالون أ.د أفنان دروزة الثقافي. بتصرّف.

تعدّدت بواعث الغزل العذري بتعدّد المؤثّرات التي كانت قد أثّرت على المجتمع، وهذه البواعث تنقسم إلى ما يأتي:

الباعث الديني: لقد جاء الإسلام حاملا معه جملةً من التّعليمات والإرشادات التي تسمو بالنفس البشريّة وترقى بها نحو التّرفّع عن دنايا الأمور وسفاسفها، وكذلك تحميها من الانغماس في الشّهوات دون ضوابط، ولمّا كان الشّعر أحد الأمور التي تعكس حياة المجتمع وأفكاره واعتقاداته كان لا بدّ من أن يظهر فيه الأثر الدّيني، وكيف وإن كان الشّعر يتحدّث عن المرأة التي جاء الدّين بما فيه حفظها، ومع ذلك لم يكن الباعث الدّيني هو السّبب في ظهور الغزل العذري، ولكن لمّا كان هذا الغزل يتناسب مع ما جاء في تعليمات هذا الدّين فقد جعل النقّاد الدّين سببًا أساسيًّا في نشأته.[42]

الباعث الاجتماعي: لقد كان المجتمع البدوي يتّسم بسماتٍ خاصةٍ؛ فقد كانوا يتّصفون بالعفّة والعزّة والشّرف والغيرة، وقد وضعوا المرأة موضعًا ساميًا، وهذا التعلّق بالمرأة جعلهم يخصّصون مقدّمات قصائدهم لذكرها منذ العصر الجاهلي، وكذلك قسوة المجتمع وكثرة الواشين جعل المحبوبة تصدّ عن محبوبها، ممّا ولّد في قلب الشاعر العذري الحرقة والألم، وكذلك فقد تنوّعت بيئات الغزل في العصر الأموي بتنوّع الظّروف التي حكمتْ كل بيئة.[43]

الباعث السياسي: إنّ السّبب السّياسي الذي يكمن وراء ظهور القصيدة العذرية هو سياسة الدّولة الأمويّة في الحجاز، التي جعلت المجتمع بقسميه البدوي والحضري ينصرف إلى اللهو بعيدًا عن السّياسة، فأمّا المجتمع البدوي فقد اتّجه نحو الغزل العذري فكان مهدًا له؛ وذلك لما عاناه المجتمع البدوي من فقر وحرمان، وأمّا المجتمع الحضري فقد اتّجه نحو الغزل الماجن اللاهي وذلك لِمَا كان فيه من غنًى ورخاء.[44]

---

[42] -كريم قاسم جابر الربيعي: الغزل العذري حتى نهاية العصر الأموي منشورات جامعة البصرة ص 53

[43] - نفسه ص 71

[44] -نفسه ص 71

الباعث الحضاري: لقد كان للتطوّر الذي أصاب المجتمع العربي في العصرين الإسلامي والأموي أثَرٌ واضحٌ في ظهور الغزل العذري، ففي العصر الأموي مثلًا عندما تركّز الحكم على الحجاز وأُغرِقَت المدينة بالمال وأسباب الحضارة فإنّ بقيّة الدّولة قد هُمّشَت، فانشغل الحضر – سكّان المدينة– باللهو والمجون التي قد جاءت بها الحضارة فكان منهم الغزل الماجن، بينما انشغل البدو بالحياة البدوية التي كانت نقيض الحضارة المدنيّة فكان نتاجهم الغزل العذري العفيف [45].

الغزل العمري:

طرح عمر بن أبي ربيعة معاني غزلية لم تكن في متناول الشعراء الذين سبقوه أو عاصروه حيث كان جريئا في طرح المعاني وكسر الطابوهات الي كان يتحرج منها الفرد العربي لعدة عوامل منها الدين والتقاليد فاخترق بشعره القيم في المجتمع المدني والمكي وقد رأى بعض الدارسين أن شعره كان امتدادا لشعر امرئ القيس في استهتاره ومجونه فقد أشار إليه أدونيس بقوله: " يؤسس شعر عمر بن أبي ربيعة ما يمكن تسميته بالنزعة الشهوية أو الإباحية في الشعر العربي وهو في ذلك يتابع ما بدأه امرؤ القيس"[46].

لقد كان عمر بن أبي ربيعة يمثل بحق ظاهرة في حد ذاتها وذلك بجعله لنفسه محور القصيدة الغزلية ومطلب النساء فكان معشوقا لا عاشقا كما ألفناه عند بقية الشعراء حيث جعل موضوع الحب وأحاديثه مشتركة بينه وبين النساء.

لقد جمع عمر بن أبي ربيعة بين الحداثة والتقليد في شعره فاستلهم من الشعر الجاهلي بعض الخصائص كالمقدمة الطللية غير أنه تتحرر من بعض القيود فأفصح عما يدور بخلده دون خوف من أي رقيب. وقد أجمل يوسف عطا الطريفي مميزات شعره في قوله: " وكان يختار الألفاظ الفصيحة العذبة وكان يعبر عن المعنى الذي يريده بالمعاني القريبة وبهذا فقد خالف مألوف عصره وكانت تراكيبه متينة نقية من العجمة وفي شعره شيء من الصناعة اللفظية

[45] - كريم قاسم جابر الربيعي: الغزل العذري حتى نهاية العصر الأموي منشورات جامعة البصرة ص 71
[46] - أدونيس : الثابت والمتحول في الإبداع والاتباع عند العرب دار الساقي بيروت لبنان ط7 1994 ج1 ص 269

ولكنه كان صادق التعبير عذب الشعر ويمتاز شعره بالروح القصصية والحوار وموافق للغناء وكان يكني بشعره كثيرا. والمتميز في شعر عمر أن كل قصيدة من قصائده كانت موضوعا تاما سواء أكانت أبياتا قليلة أو أبياتا كثارا"[47] .

نماذج من الغزل العذري:

جميل بن عبد الله بن معمر: من أكبر عشاق العرب ومن أشهر شعراء العصر الأموي، واشتهر باسم جميل بثينة عاش في قبيلة عذرة التي تقع في وادي القرى بين بلاد الشام والمدينة كان يحب ابنة عمه بثينة بنت حيان وألف فيها الكثير من أشعار الحب، واشتهر بالفصاحة الجامعة بين الشعر والرواية وولد في الأعوام الأخيرة من خلافة عثمان بن عفان وكان رقيق المشاعر مرهف الإحساس ومن أوائل نظمه فيها قوله:[48]

وأول ما قاد المودّة بيننا بوادي بغيض يا بثين سباب

وقلت لها قولا فجاءت بمثله لكل كلام يا بثين جواب

ولم يكن يراها حتى صارت شابة فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر أمره.ومن أشعاره في بثينة قوله:

لها في سواد القلب بالحب ميعة هي الموت أو كادت على الموت تشرف

وما ذكرتك النفس يا بثين مرة من الدهــر إلاّ كــادت النفس تتلــف

وما استطرفت نفسي حديثا لخلّة أســرّ به إلاّ حديثــك أطــرف

[47] -يوسف عطا الطريفي: شعراء العرب العصر الأموي ص 369

[48] -جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية مج1 ص 279

المحاضرة الثامنة (08)

شعرالزهد والتصوّف:

شعر الزهد: لا يختلف كثيرا مصطلح الزهد بين اللغة والاصطلاح فكلاهما" يعني تقريبا الإعراض عن الدنيا وعدم الرغبة فيها واحتقارها والتقليل من شأنها، كما يعني أيضا الابتعاد عن الخطيئة والاستغناء عن الكماليات وتجنب كل ما من شأنه أن يبعد عن الخالق"[49].

نشأ شعر الزهد كردة فعل لموجة الترف واللهو والمجون التي ظهرت في العصر العباسي كحركة إصلاحية هدفها إعادة الأمور إلى ما كانت عليه في سابق عهدها.

يُعدُّ شِعر الزُّهد من الألوان الأدبيّة التي تحمل معانٍ سامية للرّوح على عكس بعض الأشعار الأخرى، حيث يتناول الحياة الدُّنيا باعتبارها داراً زائلةً مع الابتعاد عن ملذّاتها، ويُوجّه النّاس نحو الحياة الأبديّة باتّباع المناسك والعبادات.

غرض شعر الزهد:

عرف موضوع الزهد لدى شعراء الأندلس وبدا واضحاً في شعرهم أكثر من غيره، ولقد كان ابن زمنين من شعراء القرن الرابع الهجري أحد أشهر الشعراء الذين أخرجوا هذا النوع من الشعر إلى حيّز الوجود، وأبرزه بين صنوف الشعر الأخرى، فشعر الزهد يظهر حال الشعراء الذين تخبّطت بهم الحياة بعد تقدّمهم بالسن، وترفّعهم عن كلّ ما يشغل النفس، والروح عن التعلّق بالله، ونعيم الآخرة، وملذّاتها، ودعواهم إلى التقشف، والعزوف عن الدنيا ومتاعها، والبعد عن الملذات، والتحكّم في الشهوات، وضبطها طمعاً في الجنة ونعيمها.

شهد القرن الخامس الهجري نقلة واضحة في بُنية شعر الزهد، فقد أصبح أكثر تنظيماً، ووضوحاً في ظلّ تعدّد الطوائف التي أثرت في بنيته الشعرية سابقاً، وهذا فتح الباب واسعاً لعدد غير قليل من شعراء الزهد في نقد الحياة السياسية، والاجتماعية والثقافية، والأخلاقية في مجتمعاتهم، وسعوا من خلالها للخلاص من الظلم، والتجبّر من سلطة الحكام، وولاة الأمور

[49] -محمود لطفي نايف عبد الله: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي اسحاق الألبيري دراسة موازنة جامعة النجاح الوطنية نابلس 2009 ص 05

الفاسدين، الذين أرهقوا الناس بطغيانهم، والتحكم في لقمة عيشهم، مما جعل شعر الزهد ينحو منحنى مذهبياً، وسياسياً، وأدبياً، وأخلاقياً، ولعلّ أكثر من أشتهر من الشعراء في هذا المجال: علي ابن اسماعيل الفهري القريشي

خصائص شعر الزهد

- تظهر في شعر الزهد النزعة الدينية المتشددة، والمبالغ فيها.
- يبرز فيه ظاهرتي الاقتباس، والتضمين من نصوص دينية متعدّدة.
- تكثر فيه الأدلة، والبراهين المؤدّية لغرضه الأصلي.
- يستخدم بكثرة أسلوب الإقناع بالحجة، والدليل.
- يظهر أسلوبي الترهيب، والترغيب بشكل مباشر، وواضح.
- يتصف بسهولة اللغة، وببساطة العبارات في الصياغة والتي تصل لحدّ الركاكة.
- يجسّد المعنى من الفكرة المطروحة في القصيدة عن طريق الإكثار من توظيف فنون البديع، من صور بيانية، وتشبيه، واستعارات وغيرها.
- يسرف في استخدام المحسنات البديعيّة خاصّة اللفظية منها.
- تبرز فيه النزعة التأملية، التصوّفية.
- يغلب عليه طابع الوعظ، والدعوة إلى الندم على كلّ ما فات.
- يقوم على التذكير بالآخرة وما عند الله من ثواب وعقاب.
- يعتمد على القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة في استنباط أفكاره.
- يزواج بين الإقناع العقلي، والتأثير العاطفي.
- يتميز بسهولة مفرداته، ووضوح معناها، ودلالاتها.

عوامل ظهور شِعر الزُّهْد:

إنّ أول ظهور لشِعر الزُّهد بحسب ما يقول الدّكتور إحسان عبّاس في كتابه تاريخ الأدب الأندلُسيّ كان أثناء الثّورة على الحُكم الرّبضيّ عام 206هـ، وكان الشِّعر حينها

يُنظَم من قِبل الأتقياء من الشُّعراء، ويُشيرُ الدّكتور إحسان إلى أنّهم كانوا يُضيفون إلى أشعارهم شيئاً من المُفردات التي تُدين أنظمة الحُكم وقتها، واستدلّ الدكتور في كلامه إلى ما قاله المراكشيّ عند تناوله موقف الزُّهاد من النّظام الرّبضيّ للحُكم، وبعد ظهور شِعر الزُّهد في القرن الثّاني، وتطوّره في مراحل لاحقة؛ نتيجة مجموعةٍ من العوامل التي تتعلّق بالجوانب السّياسيّة، والاجتماعيّة، والثّقافيّة، برز شُعراء الزُّهد، ويظهر هذا في تسلسُل مواضيع الأشعار بحسب العامل المؤثر فيها، فكانت الأشعار بدايةً تتناول الحديث عن النّفس البشريّة، والحياة، والحُكّام، وتقلّب الأحوال، ثمّ انتقلت إلى جانب الموعظة إلى أمور الدُّنيا، والحثّ على العبادة، وطاعة الله، وفيما يأتي أهمّ العوامل المؤثّرة في ظهور الزُّهد:[50]

العامل الاجتماعيّ:

إنّ لهذا العامل أشكالاً وأصنافاً من السّلوكيات التي ترتبط به، ومنها: الانشغال بأمور الحياة، والبذخ خاصّةً في الطّبقات الحاكمة، وظهور اللّهو في المجالس، والشّراب، وانتشار السّرقات، والفساد في البيوع، وغيرها من الأمور التي شهدها العصر العباسيّ، والتي ساهمت بدورها في ظهور مجموعةٍ جعلوا لأنفُسهم قراراً خاصّاً تجاهها، فنبذوا كلّ الغايات الدُّنيويّة، وطالبوا بالعودة إلى الالتزام بالدِّين، والقيم الإسلاميّة العُليا، بالإضافة إلى اتّباع نهج الرّسول –صلى الله عليه وسلّم–، والصّحابة –رضوان الله عليهم–.

العامل الثّقافيّ:

يتمثّل العامل الثقافيّ باختلاط العرب المُسلمين بعد القرنين الثّاني والثّالث في الحياة الفكريّة والثّقافيّة للدوّل المُختلفة مع الاطّلاع على ثقافتهم، مثل: اليونانيّة، والفارسيّة، والهنديّة، بالإضافة

[50] -عبد الله بن محمد بن محمود التوبي شعر الإماء في العصر العباسي خصائصه الموضوعية والفنية جامعة نزوى سلطنة عمان ص23/22 و26/25

إلى ظهور حركات التّحرّر والفتوحات، والتّرجمة، ودخول المُسلمين في مراحل تُعنى بالأبحاث والعلوم، وبسبب انحياز كلّ ثقافةٍ إلى رأيها نشأت الفلسفة، ما أدى إلى ظهور حالة من الاندماج بين الفلسفات الغربيّة والعربيّة وحضاراتهم، ممّا مهّد طريقاً للزُّهاّد ليستفيدوا من هذه الحركة الفِكرية والثّقافيّة؛ لتكون زاداً لهم في كتابة أشعارهم الرّوحيّة المليئة بالعِبرة والموعِظة[51].

العامل الذّاتي:

يعتمد هذا العامل على اتّخاد العزلة سبيلاً للابتعاد عن كلّ ما هو محظورٌ أو حرامٌ؛ حِفاظاً على أنفسهم وتحلّياً بالعِفة، فذهب منهم إلى مناطق خالية؛ خشية ارتكاب المعاصي، إلا أنّ ذلك لم يمنعهم من ممارسة أعمالهم، أو أن يخرجوا للجهاد إذا تطلّب ذلك، ومن الأسباب التي جعلتهم يتّخذون هذا نهجاً لهم: الخوف ممّا ذُكِر في القرآن الكريم عن اليوم الآخر وعذاب جهنّم، والشّعور بالحُزن والهمّ بعد ارتكاب المعاصي، ليقضوا حياتهم في التّوبة والاستغفار.

خصائص شعر الزهد:

يمتلك شعر الزّهد العديد من الخصائص التي تعكس مواضيعه وجمالياته العامة، ومن أهمّ ما يميز أتباع هذا المنهج التزامهم بمنهج دينيّ مستقيم، رافضين الدنيا وشهواتها، ويذكر من خصائص شعر الزهد ما يأتي[52]:

يغلب على شعر الزهد الطابع التعليمي، حيث يقصد أنصار هذا النوع من الشعر النصح والإرشاد، وبذلك يقول البهلول في عهد الخليفة الرّشيد[53]:

دعِ الحِرص على الدّنيا وفي العيش فلا تطمعْ

ولا تجمعْ مِنَ المال فلا تدري لِمن تجمعْ

[51] -بان حميد فرحان، "شعر الزهد- النشأة والتطور (دراسة تحليلية نقدية)"، مجلة كليّة الآداب في جامعة بغداد، العدد 103، صفحة 73-83

[52] -نفسه ص 69 وما بعدها

[53] -ميموني فوزية : الزهد في الشعر العباسي أبي العتاهية نموذجا ر ماجستير مستغانم الجزائر 2017 ص 28/27

الإكثار من ذِكر الموت؛ لكونه آخر ما سيَؤول إليه المرء، وأنّ لا قدرة للإنسان على ردّه، حيث يقول أبو العتاهية في ذلك[54]:

أَنْســـــاكَ مَحْياكَ المماتا فَطَلَبْتَ في الدُّنيا الثّباتا

وَثِقْــتَ بالدُّنيا وأَنْـــ تَ تَرى جَماعَتَها شَتاتَا

هَــلْ فِيهما لكَ عِبْــرةٌ أَمْ خِلْتَ أنّ لكَ انْفِلاتا

يا من رأى أبَوَيهِ فيــ ما قَد رأى كانا فماتا

1- سهولة المُفردات، وبساطة الأسلوب: وهذه الخاصيّة جعلت من شِعر الزُّهد يُشبه إلى حدٍّ ما الكتابة النّثريّة أو الخُطبة الواعظة، ويظهر ذلك واضحاً في أشعار أبي نوّاس، وأبي العتاهيّة، الذي كان يرى أنّ شِعر الزُّهد يجب أن يكون بألفاظ سهلة؛ لأنّه موجّه لعامّة النّاس، فقال في الزّهد إنّه: "ليس من مذاهب الملوك ولا مِن مذاهب هُواة الشِّعر ولا طُلّاب

2- استخدام الأوزان الشِّعريّة القصيرة، والمجزوءة في بحور الشِّعر؛ للتناسب مع أهداف الزُّهد، استخدام الصُّور الفنيّة البسيطة: والتي تُناسب غرض شِعر الزُّهد، وفي الوقت نفسه تكون ذات طابع مُبتكر يجعل السّامع لها يندمج معها.

3- المُباشرة في التّعبير مع الابتعاد عن الصُّور، والمجازات، وهذه الخصيصة جعلت النّاس يقبلون على شِعر الزُّهد؛ فالمعنى يتمّ إيراده بلا غُموض أو تعقيد.

ينقسم شُعراء الزُّهْد إلى قسمين، وذلك بحسب تطرُّق الزُّهد إلى حياتهم، وهما: الشُّعراء الزّاهدون منذ نشأتهم، مثل: عبد الله بن المبارك، ومحمّد بن كناسه، ومحمود الورّاق، والإمام

[54] -محمود لطفي نايت: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي اسحاق الألبيري دراسة موازنة جامعة النجاح نابلس فلسطين 2009 ص 49

الشّافعي، والخليل بن أحمد، والقسم الثاني فهم الشُّعراء الزّاهدون التّائبون بعد المُجون، يُذكر منهم: أبو العتاهية، وأدام بن عبد العزيز، وأبو نوّاس، ومحمّد بن يسير الرّياشيّ[55].

ومن أمثلة ما نظم في الزهد هذه الأبيات لأبي العتاهية يكشف فيها تجربة الحبّ التي مرّ بها، وكيف كانت سبباً في تغيُّره، وتظهر فيها فلسفته في الحياة بعد الذي ذاقه منها، ويتضّح جليّاً العزم في كلامه، والمشاعر الصّادقة، وممّا قال فيها:[56]

قطعت منك حبائل الأمالِ وحططت عن ظهر المطيِّ رحالي

و يئست أن أُبقي لشيء نلت ممّا فيكِ يا دنيا و أن يبقى لي

فوجدت برد اليأس بين جوانحي وأرحت من حَلِّي و من ترحالي

ولئن يئست لرُبّ بَرْقةِ خُلّبٍ بَرَقَتْ لذي طمع و بَرْقة آل

ما كان أشأم، إذ رجاؤك قاتلي وبنات وعدك يعتلجن ببالي

فالآن يا دنيا عرفتك فاذهبي يا دار كلّ تشتت وزوالِ

والآن صار لي الزمان مؤدباً فغدا عليّ وراح بالأمثالِ

والآن أبصرت السّبيل إلى الهدى وتفرغت همّمي عن الأشغال

ولقد أقام لي المشيب نعاته يُفضي إليّ بمفرق وقذالِ

ولقد رأيت الموت يبرق سيفه بيد المنيّة حيث كنت، حيالي

ولقد رأيت عُرا الحياة تخرّمت ولقد تصدّى الوارثون لمالي

[55] - بان حميد فرحان: شعر الزهد النشأة والتطور دراسة تحليلية نقدية مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد 103 ص 69 وما بعدها

[56] -حمسياتي: أبو العتاهية وخصائص شعره دراسة تحليلية أدبية جامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية مكاسر 2014 ص 54/53

ولقد رأيت على الفناء أدلة فيما تنكر من تصرف حالي

شعر التصوّف:

يعد الشعر الصوفي أهم فروع الأدب الصوفي، وقد بدأت تباشيره من القرن الثالث الهجري، إذ أخذ الشعراء ينظرون إلى الخالق جلّ جلاله بعين الحب والعشق، فكان استمرارًا لأشعار الفقهاء والوعاظ والنساك أمثال: الإمام الشافعي ورابعة العدويّة، وارتفع شأن هذا الشعر عند ذي النون المصري وأرسى دعائم الوجد الصوفيّ الذي يقوم على المحبة الربانية بوصفها جوهر التصوف وأساسه، يقول:

أموت وما ماتت إليك صبابتي ولا قضيت من صدق حبك أوطاري

تحمّل قلبي فيك ما لا أبته وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري

التصوف هو نزعةٌ دينيّة وجدت في مختلف الأديان والمذاهب، وهو كما يرى ابن خلدون: "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف، والتصوف من لبس الصوف لأنّ الصوفية كانوا يلبسون الصوف للدلالة على الزهد، ومن الخلفاء الذين اقترن اسمهم بالزهد عمر بن عبد العزيز، ومن التابعين الحسن البصري فكان يدعو إلى الزهد في متاع الدنيا والتقرب إلى الله، ثم سار الزهد خطوة إلى التصوف فأصبح رياضة روحية على يد إبراهيم بن أدهم الذي ترك أمواله وعاش حياة متقشفة تفرغ فيها للصلاة والإقبال على العبادة، ثم ارتقى إلى فكرة على يدي رابعة العدوية التي دعت إلى فكرة الحب الإلهي إذ تقول:

أحبك حبّين حب الهوى وحبّا لأنك أهل لذاكا

وأمّا الذي هو جب الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواكا

للمتصوفة أدبٌ غزير اتضحت ملامحه منذ أوائل القرن الثاني الهجري أي مع بداية

العصر العباسي، واستمر في العصور اللاحقة، ومن خصائصه السمو الروحي والمعاني النفسية العميقة والخضوع التام لإرادة الله القوية وبعد الخيال والسطحيات، كما يتصف بالغموض والمعاني الرمزية، وتعدّدت أنواع هذا الأدب؛ إذ نجد فيه الابتهالات والحكم، وفيه القصص الكثيرة والكتابات الصوفية والشعر.

المحاضرة التاسعة (09)

شعر الحماسة:

ارتبط شعر الحماسة بحياة القبائل العربية وأيامها ووقائعها وحيث أن الحياة العربية خاصة في شبه الجزيرة العربية كانت تعرف أحداثا كثيرة نظرا لكثرة النزاعات والمناوشات التي كانت تحدث بين مختلف القبائل كانت الفنون الشعرية خاصة الحماسة من أقربها إلى نفوسهم وقد ظهر ذلك جليا سواء في قصائد المعلقات أو عند الشعراء الصعاليك وازداد هذا الغرض تطورا في العصر الأموي بسبب الصراع الذي نشأ بين معاوية وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. "فحين قامت الحرب بين علي ومعاوية ، كان الشعر من أسلحة الحرب تهاجى به الفريقان المتقاتلان وأثار الشعراء همم الجنود وجادلوا فيه خصومهم وإن القبائل المتحاربة كانت تجد في إحياء تراثها من الشعر الجاهلي ترويه وتذيعه لأن فيه محامد القبيلة وأمجاد آبائها كما أنه كانت تقف على مثالب خصومها وما قيل فيهم من هجاء في الجاهلية والإسلام"[57] .

إذن يُطلقُ مصطلح شعر الحماسة على الشعر الذي يؤجّجُ في نفوس الشعراء والمستمعين الحماس والانفعال بغضِّ النظر عن المواضيع التي يتناولها، فلا يقتصر شعر الحماسة على الشعر المرتبط بالحروب والمعارك التي يصفها ويمدحُ أبطالها، فقد يظهرُ شعر الحماسة في أشعار الفخر والمدح والرثاء والهجاء حتّى في مجال الغزل أيضًا، ففي كلّ من تلك المجالات لا بدَّ من أن يتصف السامع أو الشاعر بالصبر والتأثُّر بالشعر حتّى يبلغَ المرء الحماس المطلوب، إلا أنّه ارتبطَ بالشّجاعة والشدّة والمَنَعة.

ولعلّ من أبرز دواعي الحماسة عن العربي رغبته في التأكيد على قوته وشجاعته حتى يصرف أنظار الأعداء عنه خاصة في العصر الجاهلي فالتغني بالشجاعة يجعله وقبيلته بعيدين عن أنظار الطامعين فيحقق لنفسه وقبيلته الأمن والاستقرار.

[57] -يحي الجبوري : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 142

غير أنه بحلول العصر العباسي صار للحماسة حضور قوي خاصة بعد ان اقرنت بشاعرين كبيرين هما: أبو تمّام وأبو الطيب المتنبي خاصة وأن هذين الشاعرين عاصرا فترة الصراع العربي الروماني وتلك المعارك التي قادها سيف الدولة الحمداني حيث خلده المتنبي في العديد من القصائد كقوله:[58]

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر أهل الكرام المكارم

إلى أن يصل إلى قوله:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم

ويصف أبو تمام فتح عمرية بالنصر العظيم حيث يقول:[59]

السّيف أصدق أنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

يا يوم وقع عمورية انصرفت عنك المنى حفّلا معسولة الحلب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى يشلّه وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلابيب الدّجى رغبت عن لونها أو كأن الشمس لم تغب

الحماسة عند المتنبي:

عرف الشعر العربي الحماسة منذ الجاهلية، واقترنت في الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام بالفخر القبلي خاصة، وقد تحددت هذه الحماسة ضمن جملة من المعاني أهمها: الشجاعة

[58] - ديوان المتنبي: دار بيروت للطباعة والنشر بيروت لبنان 1983 ص 387

[59] -ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي: تح راجي الأسمر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ج1 ص 36/35

والبطولة الحربية، ووصف الجيوش والسلاح، وتصوير المعارك ومشاهد القتال.
هذه المعاني الحماسية مثلت أحد المصادر المهمة التي اعتمدها شعراء الحماسة في العصور اللاحقة منذ أبي تمام وصولا إلى المتنبي وابن هانئ.

شعر الحماسة عند أبي الطيب يتخلل مختلف الأغراض وخاصة منها المدح والرثاء والفخر؛ بمعنى أن الغرض يظل القوة الموجِّهة للقول وإن قامت بعض المدحيات مثلاً على الحماسة في مجملها. لكن هذه الملاحظة لا تنفي وجود خصائص مشتركة لشعر الحماسة عند المتنبي وإن اختلفت الأغراض والسياقات الشعرية إنشاء وتقبلاً.

ارتباط شعر الحماسة عند أبي الطيب بمؤثرات ذاتية تتعلق بتضخم الذات والاعتداد المبالغ فيه بالنفس، وبمؤثرات موضوعية ترتبط بعصر المتنبي وخصوصية المرحلة التاريخية التي عاش فيها.

لا يمكن في الحقيقة أن ننظر في حماسيات المتنبي بمعزل عن ذات أبي الطيب المتضخمة والمتعالية، في إيمانها بالقوة وبالفعل سبيلاً لتحقيق الأهداف. وهو ما انعكس في شعره تغنياً بالقوة والبطولة والشجاعة مُرَدِّداً في ذلك أغلب معاني الحماسة الجاهلية التي يختصرها مفهوم الفتوة.

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

يُكَلِّفُ سَيفُ الدَولَةِ الجَيشَ هَمَّهُ وَقَد عَجَزَت عَنهُ الجُيوشُ الخَضارِمُ

وَيَطلِبُ عِندَ الناسِ ما عِندَ نَفسِهِ وَذَلِكَ مالا تَدَّعيهِ الضَراغِمُ

هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها وَتَعلَمُ أَيُّ الساقِيَينِ الغَمائِمُ

سَقَتها الغَمامُ الغُرُّ قَبلَ نُزولِهِ فَلَمّا دَنا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ

بَناها فَأَعلى وَالقَنا تَقرَعُ القَنا وَمَوجُ المَنايا حَولَها مُتَلاطِمُ

وَكانَ بِها مِثلُ الجُنونِ فَأَصبَحَت وَمِن جُثَثِ القَتلى عَلَيها تَمائِمُ

طَريدَةُ دَهرٍ ساقَها فَرَدَدتَها عَلى الدينِ بِالخَطِّيِّ وَالدَهرُ راغِمُ

وَكَيفَ تُرَجّي الرومُ وَالروسُ هَدمَها وَذا الطَعنُ آساسٌ لَها وَدَعائِمُ

أَتوكَ يَجُرّونَ الحَديدَ كَأَنَّهُم سَرَوا بِجِيادٍ ما لَهُنَّ قَوائِمُ

خَميسٌ بِشَرقِ الأَرضِ وَالغَربِ زَحفُهُ وَفي أُذُنِ الجَوزاءِ مِنهُ زَمازِمُ

فَلِلَّهِ وَقتٌ ذَوَّبَ الغِشَّ نارُهُ فَلَم يَبقَ إِلّا صارِمٌ أَو ضُبارِمُ

تَقَطَّعَ مالا يَقطَعُ الدِرعَ وَالقَنا وَفَرَّ مِنَ الأَبطالِ مَن لا يُصادِمُ

وَقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ كَأَنَّكَ في جَفنِ الرَدى وَهوَ نائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلمى هَزيمَةً وَوَجهُكَ وَضّاحٌ وَثَغرُكَ باسِمُ

ضَمَمتَ جَناحَيهِم عَلى القَلبِ ضَمَّةً تَموتُ الخَوافي تَحتَها وَالقَوادِمُ

نَثَرتَهُمُ فَوقَ الأُحَيدِبِ كُلِّهِ كَما نُثِرَت فَوقَ العَروسِ الدَراهِمُ

وَلَستَ مَليكاً هازِماً لِنَظيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَوحيدُ لِلشِركِ هازِمُ

أَلا أَيُّها السَيفُ الَّذي لَيسَ مُغمَداً وَلا فيهِ مُرتابٌ وَلا مِنهُ عاصِمُ

هَنيئاً لِضَربِ الهامِ وَالمَجدِ وَالعُلى وَراجيكَ وَالإِسلامِ أَنَّكَ سالِمُ

المحاضرة العاشرة (10)

الشعر السياسي في المشرق والمغرب:

يتناول الشعر السياسي ما يرتبط برؤية الشاعر حول ما يتعلق بنظام الحاكم؛ أي " ما يتصل بنظام الدول الداخلي أو بنفوذها الخارجي ومكانتها بين الدول" [60] فهو ذلك الشعر الذي ينظم حول أمور الحكم، والأحداث السياسية التي يعيشها أفراد المجتمع في زمن محدد، و يشمل" الشعر الذي قاله الشعراء المناصرون للأحزاب السياسية المتنازعة على الخلافة في العصر الأموي"[61].

توارت العصبية القبلية في عهد النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، إذ استطاع أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويقيم بينهم وحدة سياسية، هدفها حماية الإسلام ونشر تعاليمه وقد عادت العصبية إلى الظهور بين المهاجرين والأنصار بعد وفاة النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، إلاّ أن عمر بن الخطاب تدارك الموقف، وبايع الصديق بالخلافة ، وقد استطاع أبو بكر الصديق القضاء على العصبية بسياسته الحكيمة، وإشغال المسلمين بالجهاد، والفتوح، وكذلك فعل عمر بن الخطاب ولكن السخط والتذمر، من سياسة عثمان أودت بحياته، وأوجدت الخلافات السياسية، مما أقام الأحزاب واضحة جلية بعد وفاته . وهكذا انقسم المسلمون، بين مؤيد لعلى بن أبي طالب، ومناصر لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم اتسعت الهوة ، وكثرت الأحزاب.

وبصفة عامة " لم تتبلور الأفكار السياسية بالمعنى الدقيق إلا بعد مقتل عثمان، وبدء الاضطرابات والفتن داخل المجتمع الإسلامي الموحد، وتوزع الناس إلى شيع وأحزاب متنافسة، لكل منها فهمه الخاص لنظام الحكم، و وسائله في الدعاية لآرائه وفهمه، ومع ذلك فقد ظلت العقيدة الدينية محور الاختلاف والخصومة بين تلك الفئات"[62] واتسعت دائرة الاختلاف أكثر بين المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي عهد علي

[60] -أحمد الشايب : تاريخ الشعر السياسي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط4 1966 ص 4
[61] -عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ج1 دار الملايين بيروت لبنان ط4 1981 ص 360
[62] -سامي مكي العاني: الإسلام والشعر ص 93

رضي الله عنه انتشرت الفرقة بينهم، واشتدت أكثر في بداية العصر الأموي، فظهرت الأشعار السياسية التي مثّلت مختلف الاتجاهات والنظريات"[63].

ب-العصر الأموي :

انقسم الأمويون في هذا العصر إلى فريقين؛ أحدهما كان مؤيدا للحزب الأموي من جهة، ويقف الآخر إلى صف الحزب العلوي؛ أي بين مناصر لـــ معاوية بن أبي سفيان، و آخر مؤيد لعلي بن أبي طالب، ثم كثرت الأحزاب وصار لكل حزب شعراء يدافعون عنه، ويثبت لكل حزب رأيه وأحقيّته في الحكم، وتتضح معالم هذا الصراع الحزبي بعد تولي الحكم معاوية بن أبي سفيان، فانقسم الناس إلى فريقين؛ منهم من أيّد الحزب الأموي المؤيّد لحكم الأمويين، وفريق آخر مناصر للحزب العلوي المخالف للحكم، بالإضافة إلى ظهور أحزاب أخرى مثل: الخوارج والزبيرين، ويمكن التفصيل في هذه الأحزاب والأشعار السياسية ومن أشهر الأحزاب آنذاك:

الحزب الأموي الحاكم:

تولى الخلافة معاوية بن سفيان بداية، ثم انتقلت إلى يزيد بن معاوية، وصولا إلى عبد الملك بن مروان، وكان آخر الخلفاء هو مروان بن محمد، وقد نظم الشعراء المناصرون لهذا الحزب الكثير من الأشعار التي مدحوا من خلالها الخلفاء الأمويين؛ و وصفوهم بأنهم الأجدر بالخلافة، ومثال ذلك مدح جرير للخليفة عبد الملك بن مروان:[64]

وإني قد رأيت عليّ حقّا زيّارتي الخليفة وامتداحي

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقد مدح الشعراء الأمويون لترغيب الناس في بقائهم في الحكم، فنسبوا إليهم أحقيّتهم في الحكم، وأن الله اصطفاهم خلفاءه له، ومن ذلك مدح الفرزدق لبني مروان، مؤيدا أحقيتهم للحكم وراثة بعد عثمان رضي الله عنه، هاجيا ابن الزبير:

---

[63] -سامي مكي العاني : الإسلام والشعرص93

[64] -جرير بن عطية، الديوان، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص255

فالأرض لله ولاها خليفته وصاحب الله لمعيّر مغلوب

بعد الفساد الذي قد كان به كذّاب مكة من مكر وتكذيب

راموا الخلافة في غدر فأخطأهم منها صدور وفازوا بالعراقيب

والناس في فتنة عمياء قد تركت أترافهم بين مقتول ومحروب

دعوا ليستخلف الرحمن خيرهم والله يسمع دعوى كل مكروب

هكذا بدأ هذا اللون الشعري في العصر الأموي يتعاظم في ظل الصراعات التي صاحبت قيام دولتهم وانشقاق الناس بين مشجع على قيام دولة ملكية عاصمتها دمشق وبين مشجع لعودة الخلافة إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق علي بن أبي طالب وأولاده منكرا على الأمويين التسبب في قتلهم وما لازم ذلك من فرق كالشيعة والخوارج والزبيريين.[65]

وما إن بسط الأمويون نفوذهم على شبه الجزيرة العربية وبدأوا العمل على توريث الحكم بالقضاء على المناوئين وقادة الثورات الرافضة حتى بدأوا في تشجيع الشعراء على مدحهم لإشاعة خصالهم بين الناس وترغيبهم فيهم. لذلك شاع المدح عندهم بكثرة مرتبطا بالسلطة.

ج - العصر العباسي :

بعد انتهاء الحكم الأموي وحلول العصر العباسي، توسع نطاق الشعر السياسي، وصار الشعراء يمدحون الوزراء، والحكام والولاة والقضاة، وتوارت بعض الأحزاب، وظهرت أحزاب جديدة، فقد ضعفت أغلب الأحزاب السياسية التي ساهمت في ازدهار الشعر الساسي خلال العصر الأموي، مما جعل الشعر السياسي يضعف هو أيضا[66]؛ « أما حزب الزبيريين فكان قد سقط نهائيا منذ سنة72 للهجرة، ولم تقم له بعد ذلك قائمة، وأما حزب الخوارج فإن معاركه مع الأمويين كانت قد طحنته طحنا ولم تبق منه إلا بقايا ضعيفة، كانت كلما تجمعت وأوقدت ثورة قضى عليها قائد عباسي قضاء مبرما، وبذلك سقط هذا الحزب هو الآخر لا من حيث جهاد

[65] -شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول دار المعارف القاهرة مصر ط16 1966 ص 190
[66] -نفسه ص 291

الدولة وحربها فحسب، بل أيضا من حيث الشعر والشعراء. أما حزب الشيعة فقد ظل في كثير من النفوس، وظلت ثوراتهم تتوالى من حين إلى حين وظل كثير من أئمتهم وأعلامهم يقتلون ويسجنون إذ كانوا يزعمون أنهم أولياء الخلافة الأقربون وأصحابها الشرعيون، وأن العباسيين اغتصبوها منهم اغتصابا[67] ومن بين الأحزاب التي ظهرت في العصر العباسي:

الحزب العباسي:

كان هذا الحزب ضد الحزب العلوي، ولقد حاول الشعراء العباسيون إيهام الناس أن أبا جعفر المنصور هو المهدي المنتظر، و وصفوه بذلك؛ ويقول الشاعر أبو دلامة مخاطبا أبا مسلم الخرساني:[68]

أفي دولة المهدي حاولت غدرة ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

كما أن أبا جعفر المنصور لم يكن حاكما سياسيا فقط، بل كان إمام المسلمين جميعا أيضا، ويؤكد الشعراء أن وراثة الخلافة من حق العباسيين، وفي ذلك يقول أبو دلامة[69]:

يا ابن عمّ النبيّ دعوة شيخ قد دنا هدم داره ودماره

يا ابن من ورّث النبيّ الذي حلّ بكفيه ماله وعقاره

ولقد سعى الشعراء من خلال مدحهم للخلفاء إثبات وتأكيد حق العباسيين في الخلافة؛ لأن جدهم العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم هو أولى بميراثه للخلافة، فأثنوا عليهم، ووصفوهم بالأئمة، وأنهم أتقياء، ويتبعون طريق الحق.

---

[67] - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول دار المعارف القاهرة مصر ط16 1966 ص 191

[68] - محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص379

[69] - نفسه ص381/380

الشعر السياسي في المغرب والأندلس:

وظف الشعر السياسي في المغرب العربي ضمن أغراض كثيرة، كالمدح والرثاء والغربة، لكنه شهد انتشارا أكثر في الأندلس، نتيجة تعرض مدنها للسقوط، وطلب الأندلسيون النجدة والمساعدة من المغاربة، وبالتالي نجد الشعراء ّقد أرخوا وسجلوا الأحداث السياسية التي شهدها الأندلسيون ّ، وخاصة إبان عصري: المرابطين والموحدين؛ حيث تعرضت الأندلس حينها إلى سقوط ممالك ومدن، فواكب الشعراء تلك الأحداث السياسية، مصورين ذلك الصراع الذي عاشته دولة الأندلس مع الأعداء.[70]

ّوقد عبر الشعراء عن استيائهم من تخاذل الملوك وتقاعسهم عن الجهاد، ومثال ذلك قول الشاعر السميسر هاجيا هؤلاء الملوك[71]:

ناد الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتم

أسلمتم الإسلام في أسر العدا وقعدتم

وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتم

لا تنكروا شقّ العصا فعصا النبيّ شققتم

وقد كان الشعراء يمدحون الملوك والولاة حين يحققون النصر في دفاعهم عن الأندلس؛ فحين نقض ألفونس ملك قشتالة عهده الذي كان بينه وبين الموحدين، وصار يهجم على دولتهم في الأندلس، فكان في لقائه المنصور يعقوب بالقرب من قلعة رباح، وكان النصر حليف المنصور يعقوب بفوز عظيم، مما جعل ألفونس ومن تبقى من جنوده يفرون إلى طليطلة والرعب يتملكهم[72]، فتغنى الشعراء بهذا النصر؛ ومن أروع ما قيل في ذلك قصيدة الشاعر علي بن حزمون المرسي:[73]

---

[70] - محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص410/404

[71] -فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين دار الوفاء للطباعة والنشر الاسكندرية ط1 2007 ص 7

[72] - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، ص ص183،184.

[73] - نفسه ص 184

حيّتك معطّرة النفس نفحات الفتح بأندلس

فذر الكفّار ومأتمهم إن الإسلام لفي عرس

أ إمام الحقّ وناصره طهّرت الأرض من الدّنس

وصدعت رداء الكفر كما صدع الدّيجور قبس

شعر السّجون:

لا يحدّد ظهور شعر السجون بعصر محدّد، بل هو قديم قدم العصور الأدبيّة، وفكرة إنشاء السجون في حد ذاتها، فهي متعلقة بظروف الحياة الاجتماعية والسياسية، فقد يتعرض الشعراء للسجن أو الأسر لأسباب كثيرة، لذا فهذا الشعر يمتد من العصر الجاهلي إلى وقتنا الحاضر؛ ففي العصر الجاهلي مثلا لم تكن هناك سجون إلّا في الحواضر، بينما في البوادي فـ يِسجن الأسرى في الخَيم، كأسر الشاعر "عبد يغوث" في خيمة زوجة الأهثم، وقد عبّر عن ذلك الشاعر في قوله[74]:

وتضحك مني شيخة عبشميّة كأن لم تر قبلي أسيرا يمانيا

يعد شعر السجون ذلك الشعر الذي نظمه الشعراء أثناء فترة سجنهم أو أسرهم؛ والذي كان يجري على ألسنة السجناء حاملا غربتهم معبرا عن ظروف حياتهم[75]؛ حيث نسج الشعراء من تجاربهم الذاتية مضامين قصائدهم التي تعبر عن مشاعر الأسى والحزن والألم نتيجة سلبهم حريتهم، واذلالهم، ويفصح عن ذلك الشاعر عدي بن زيد العبادي الذي تولى مناصب مميزة في بلاط الأكاسرة والمناذرة في الحيرة، لكن كثرة الوشايات جعلت الملك يعتقله ويقتله[76]، وكان

---

[74] - الجاحظ، البيان والتبين، تح: عبد السلام هارون، الجزء (4)،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(7)، 1998، ص45

[75] - وهيب طنوسي: الوطن في الشعر العربي، مديرية الكتب والمطبوعات، حلب، 1980، ص 377.

[76] - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، الجزء (02)، دار الثقافة، بيروت، ط(6)، 1986، ص 88، 89.

يخاطب الملك النعمان وهو في سجنه، مؤكدا إخلاصه له، ومبرئا نفسه من وشايات الأعداء قائلا[77]:

ألا من مبلغ النعمان عنّي وقد تهوى النصيحة بالمغيب

أ حظّي كان مشكلة وقيدا وغلاّ والبيان لدى الطبيب

أتاك بأنّني قد طال حبسي ولم تسأم بمسجون حريب

وبيتي مقفر الأحياء فيه أرامل قد هلكن من النّحيب

وقد سجن الخليفة عمر بن الخطاب الشاعر الحطيئة في عهده، بسبب كثرة هجائه، فقد اشتكاه الزبرقان بن بدر بعد هجائه له، فنظم الحطيئة أبياتا يستعطف من خلالها الخليفة عمر كي يطلق سراحه، قائلا[78]:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

غيّبت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النّهى البشر

فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح يغشاهم بها القرر

أهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عرض دويّة يفنى بها الحجر

وقد شهد العصر الأموي كثرة شعر السجون، وعلة ذلك كثرة الحروب والصراعات السياسية، خاصة بعد تعرض بني أمية لكل مخالف لسياستهم في الحكم، فكثر القتل والسجن والتعذيب[79]،

---

[77] - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، الجزء (02)ص93- 98

[78] - الحطيئة: الديوان، برواية وشرح: ابن السكيت، دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1993 ص 108/107.

[79] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص 77

ومن الطبيعي أن تكون السجون كثيرة أيضا، ّوالتعذيب قاسيا وقد صوّر ذلك الفرزدق حين كان سجينا في سجن خالد بن عبد الله القسري بالعراق قائلا[80]:

يقول الحدّاد هل أنت قائم وهل أنا إلاّ مثل آخر قاعد

كأنّي حروري فوق كعبه ثلاثون قيدا من قروص ملاكد

وقد شهد العصر العباسي حكما لا يختلف عن حكم الأمويين؛ إذ كان العباسيون يرون أن لهم حقا إلاهيا في الحكم والسلطان، وصار الخلفاء مختفون عن أنظار الناس، ويحيطون أنفسهم بالحجاب والحراس، ولم يعد العرب يدخلون على الخليفة كلما أرادوا، كما كان سائدا في العصر الأموي، بل لابد من الاستئذان من الحراس والحجاب، ولا يدخل أحد منفردا إلى الخليفة، إنما يرافقه كبير ّالحرس المعروف بالجلاد، والسيف أمامه لا يفارقه، حتى إذا غضب عليه قطع رأسه، ويمكن أن نستشف من ذلك أن الحكم في العصر العباسي كان استبداديا، بعيد كل البعد عن مراعاة أحوال الرعية ّ، كما أنه ينصب الولاة، القضاة ، الوزراء والقواد وغيرهم، ومتى شاء عزلهم جميعا[81]، لكن هذه القوة التي وسمت بدايات العصر العباسي التي تنتهي بمقتل الخليفة المتوكل، فيتولى الحكم بعده خلفاء ضعاف تركوا الأمور لقادة جنده[82]ّ، لذا فقد بنى العباسيون سجونا جديدة وكثيرة، وحولت بعض الأديرة القديمة في الصحراء والأماكن النائيّة إلى سجون ومراكز عسكرية يزجّ فيها من يعصون الحاكم مثل دير بن عامر ودير القائم وغيرها[83].

ومن الشعراء الذين طالهم ظلم الخلفاء العباسيين، فأدخلوا السجن الشاعر أبو العتاهية؛ فقد سجنه الخليفة الرشيد، ّفعبر من خلال شعره، عن عتابه للخليفة بسبب ظلمه له وسجنه قائلا:

صبرت ولا والله ما لي جلادة على الصبر لكن قد صبرت على رغمي

---

[80] - الفرزدق: الديوان، دار صادر، بيروت، ص 133

[81] - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ، ص21.

[82]- أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص 7.

[83] - عبد العزيز الحلفي : أدباء السجون، مطبعة الزهراء، النجف، ص160-165

كفاك بحقّ الله ما قد ظلمتني فهذا مقام المستجير من الظلم

أما في المغرب والأندلس، فقد كثرت الخلافات السياسية والفتن، فقد كان الخلفاء يقفون بالمرصاد لكل من يعارضهم، بالسجن والتعذيب والقتل[84]، ومن الشعراء الذين سجنوا نتيجة معارضتهم للحكام وتصريحهم بذلك في شعرهم: أبو مروان عبد الملك بن إدريس.

رثاء المدن:

يعد رثاء المدن غرضا شعريا قديما، ظهر " منذ العصر الجاهلي، إذ نجد الأسود بن يعفر يرثي دولة آل محر َق في الحيرة وحضارتهم وما شادوا من قصور الخورنق والسدير وِسْنداد، حيث كانوا يعيشون في ظل ملك ثابت ونعيم رافه، فزال ذلك كله، وأصبح باليا مندثرا. وحين قضى العباسيون على الدولة الأموية بكاها الشاعر أبو العباس الأعمى المكي طويلا. وسينية البحتري في إيوان كسرى حين زار أطلاله مشهورة إذ خلبت لبه نقوشه وما على حيطانه من تصاوير، فوصفه وصفا بديعا، وبكى في تضاعيف وصفه دولة الفرس ومجدها الحضاري "[85] ، وعندما شهدت الأندلس سقوط مدنها، عبر الشعراء عن حزنهم

وعندما شهدت الأندلس سقوط مدنها، عبر الشعراء عن حزنهم وأسفهم لزوال دولتهم، فنظموا العديد من القصائد في رثاء مدنهم الأندلسية؛ فقد برز رثاء المدن في الأندلس نتيجة الأوضاع السياسية التي عاشتها مدنها، ومواجهتها للنصارى حين رغب الصليبيون في طرد المسلمين من الأندلس، فكان الشعراء الأندلسيون يرون مدنهم تتهاوى، فينظمون مرثياتهم التي تصور ضياع دولتهم، كرثاء المعتمد بن عباد سقوط دولته على يد يوسف بن تاشفين الذي حاصرت جيوشه اشبيلية، وكان مصير المعتمد بن عباد السجن.

[84] - بسيم عبد العظيم، عبد القادر ابراهيم: شعر الأسر والسجن في الأندلس، جمع وتوثيق ودراسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(2)، 1996، ص16

[85] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الأندلس، ص3

المحاضرة الحادية عشر: (11)

الشعر الفلسفي:

تتعدد الآراء حول إمكانية الجمع بين الشعر والفلسفة، بين مؤيد لذلك و معارض له، باعتبار أن الشعر يخاطب الوجدان، في حين تخاطب الفلسفة العقل والمنطق، وتعتمد على التحليل والتفسير والتأمل، فهناك من يرى أن الفلسفة تفسد على الأدب جماليته الأدبية؛ إذ أن" الأديب إنما يقدم لنا عملا فنيا نرتاح إليه ونستمتع به ونستغرق فيه؛ وهو إذا حاول أن يحشد في عمله الفني أدلة عقلية أو براهين فلسفية أو مذهبا مجردا، فإنه قد يفسد عندئذ كل ما في عمله الفني من ذوق أدبي"[86]. لكن هناك رأي آخر يرى أن اعتماد الأدب عامة والشعر خاصة على الجمال الفني والخيال لا يعارض توظيفهما للفلسفة؛ لأنه إذا كان العمل الفني داخلا –بحكم طبيعته وأداته و وظيفته– ضمن حقول المعرفة الإنسانية، "فإنه يظل –عندئذ –شريكا للفكر الفلسفي في هذا الإطار المعرفي، بما له من دلالات ذهنية ونفسية، وعندئذ –أيضا– يظل شعر "الأفكار" مجالا رحبا للعرض والمناقشة، من خلال ثقافة مزدوجة تشرحه وتحلله من خلال قيمة مادته، إلى جانب كشف درجات تماسكه وقوته الفنية، وبذلك تظل للشعر خصوصياته، إلى جانب قربه –بحكم الجوار– من مجالات المعرفة الفلسفية"[87] وبناء على ذلك يمكننا الجمع بين الشعر والفلسفة على أن يحتفظ كل منهما بخصوصياته، فليست وظيفة الشاعر تناول الحق والتعبير عنه بشكل مباشر، وعليه أن يتناوله من الجانب الحسي والجمالي، ويمزجه بحياة الإنسان وأحاسيسه، "فمكانة الشعر الأولى تكمن في الطريقة التي عبر من خلالها الشاعر عن معانيه وما أراد قوله وليس ما قاله الشاعر في حد ذاته"[88] ويؤكد العلاقة الوطيدة بين الشعر والفلسفة منذ القدم عند العرب ما قام به « نقاد منظرون في الارتقاء بوصف مفهوم الشعر عند العرب ، وكان لهذه الفئة صلات بالمنطق والفلسفة. وقد ظهرت هذه الفئة من النقاد إثر نقل كتاب

---

[86] -ابراهيم زكريا: مشكلة الفلسفة ص126

[87] -عبد الله التيطاوي: حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ دار الثقافة للنشر والتوزيع 1992 ص 24

[88] -علي أدهم: بين الفلسفة والأدب دار المعارف القاهرة 1978 ص 10/9

الخطابة وكتاب الشعر بما يرفدهما طبعا من فلسفة يونانية عامة وأرسطاليسية خاصة، وبرزت لدى نقاد من مثل ابن طباطبا وقدامة وابن وهب الذين تكشف أعمالهم عن الطابع المنطقي والفلسفي بشكل صريح، ولكن هذا لا يعني أن هؤلاء النقاد وضعوا فهما للشعر على غرار ما لليونان، بل يبدو أنهم استعانوا بالفلسفة والمنطق ليضعوا فهما عميقا للشعر العربي، أو يؤصلوا علما للشعر يؤسس فهما لطبيعته وغايته ويضبط معيار القياس جماله وجودته دون أن يغادر التراث[89]"، وهذا يبرز صلة الشعر بالفلسفة منذ القدم.

الشعر الفلسفي عند العرب:

يكتشف المتأمل والمطلع على الشعر العربي القديم أن الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي كانوا أقرب إلى توظيف الفكر الفلسفي في متونهم الشعرية؛ حيث نجد " ذلك الإطار الفكري الذي عاش فيه الشاعر العربي منذ عصر الجاهلية يتحاور، ويجادل ويناقش، ويعكس قلقه وحيرته من خلال لغته الحوارية إما من خلال مخاطبة رفاقه في زحام تلك الحياة وسط متاعب الصحراء وإما من خلال زوجته التي ربما اتخذها مشجبا يعلق عليه فلسفته ويطرح رؤيته، أو من خلال ذاته على لغة التجريد، وتحول دلالة الخطاب إلى مناجاة الذات على نحو ما يعكسه لنا ضمير المخاطب حين يوظف في طرح تلك المواقف الحوارية، وكأننا أمام ضروب من "الديالوج"أو "المونولوج" على لغة القص وفن الرواية بحثا عن الحقائق أو مناقشة لقضايا الوجود والعدم وغيرها" [90]، ونلتمس أيضا التفكير الوجودي في تحليل الشاعر طرفة بن العبد مسألة حياته، وعلاقته بالواقع الذي يعيشه، وبالطبيعة، وتصوره للموت، بالإضافة إلى ذلك المستوى الفكري الذي يقدم من خلاله الشاعر فكرته بشكل صريح كما فعل الشعراء الصعاليك، وكذلك المستوى الجماعي الذي عبر عن الحس القبلي الذي لا ينفصل عنه الشاعر الجاهلي، كنهج عمرو بن كلثوم في معلقته، و زهير الذي عبر عن صوت السلام، وأيضا الرؤية القدرية التي تمثل الصورة الحسية للموت، وتصور مشاهد الفراق التي تثير الفزع كنهج حاتم الطائي وأبي

[89] -الأخضر جمعي: نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين سلسلة المعرفة الجزائر ط1 1999 ص 17/16
[90] -عبد الله التيطاوي: حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ ص 82

ذؤيب الهذلي وطرفة بن العبد وغيرهم"[91]، مما يجعل الشاعر الجاهلي يستنبط معانيه الفلسفية من قضايا واقعه التي تثير جدله، وتثير في نفسه أسئلة يجهل الإجابة عنها ولعل شعراء العصر العباسي هم الأكثر اهتماما بتوظيف الفلسفة في شعرهم، نتيجة تطور الحركة العلمية والفكرية والثقافية ونشاط حركة الترجمة، مما ساهم ذلك في ظهور "فكر فلسفي أكثر تعقيدا بحكم تعدد مصادره مع العصر العباسي، وطول الجدل وكثرة الحوار، وتعدد أنماط المناظرات والمساجلات، وطرح صور من ترجمات الفكر اليوناني خاصة في الجوانب الفلسفية والمنطقية، وكانت نتيجة هذا الاحتكاك الحضاري ما انتشر من ضروب التحرر الفكري الذي شجع عليه الخليفة المأمون حتى أوقع المجتمع العباسي في محنة الاعتزال التي استمرت حتى عصر الخليفة المتوكل، ومن ثم بدا الكلام عن خلق القرآن عند الشعراء، وعرض طبائع انتماءاتهم الفكرية ضربا من المشاركة العقلية لرجال الكلام وأهل الفلسفة في مجالاتهم المعرفية "[92] وقد استوعب الشعر العباسي ذلك الفكر الفلسفي الذي يمثل روح الحياة العباسة التي استقبلت روافد أجنبية كثيرة، سواء أكانت من الفرس أو اليونان، وقد تجلى ذلك من خلال شعر شعراء هذا العصر، والذي من أهم سماته عمق الفكر والمعاني، وتحليل الأفكار وفق المنطق والفلسفة، ومثال ذلك تصوير بشار بن برد لقضية فلسفية قائمة على مسألة هل الإنسان مخير في حياته أو مجبر؟؛ إذ يقول[93]:

خلقت على ما فيّ غير مخيّر هواي ولو خيّرت لكنت المهذّبا

أريد فلا أعطي وأعطي فلم أرد وقصّر علمي أن أرى المغيّبا

ونستشف ُمن قول بشار بن برد تأكيده على أن الإنسان مجبر في حياته على أمور كثيرة، وأنه محكوم بالقضاء والقدر، ولم يكن مخيرا في ذلك، وعلمه قاصر على معرفة الغيب.

---

[91] -عبد الله التيطاوي: حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ ص 84

[92] -نفسه ص 87/86

[93] -بشار بن برد: الديوان تح محمد الطاهر بن عاشور مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1954 ص 269

نجد كذلك أبا تمام الذي اتسم شعره بتوظيف المنطق والتفكير الفلسفي؛ إذ يعرض معانيه وفق أسلوب يخضع للمنطق واعمال الفكر، فقد قيل عن شعره "أنه ينال إعجاب أصحاب الفلسفة والمعاني ، كما كان أبو تمام أيضا ذو ثقافة واسعة، حتى قيل عنه أنه عالم"[94]، كما كان أبو تمام " يزاوج بين العقل والحس، وكان يعبر تعبيرا زخرفيا، ولكنه تعبير يفضي بالإنسان إلى فكر عميق ظهر في زخرف أنيق. وان الباحث ليعجب كيف استطاع أبو تمام أن ينهض بفنه إلى هذا المدى من التعبير عن الفكر والزخرف جميعا، بل إننا لا ندقق في التعبير، فليس هناك من فارق عنده بين الفكر والزخرف، إن الفكر نفسه يصبح زخرفا يزخرف به نماذجه" [95] .

نجد أيضا من الشعراء الذين وظفوا الفلسفة والمنطق الشاعر ابن الر ومي، فيبث في شعره الفكر الفلسفي والمنطق؛ إذ أنه يعتبر الفلسفة والشعر " أصلان مهمان في حرفته، فهو يعتمد عليهما في تفكيره، وهو يستخدمهما في صياغته، حتى لتتخذ أبياته في كثير من نماذجه شكل أقيسة دقيقة، فهو يقدم لها بمقدمات ويخرج منها بنتائج، وكأنه رجل من رجال المنطق، بل هو رجل من رجال الفكر الحديث، وهو لذلك يأبى إلا أن يخرج نماذجه إخراجا حديثا، فيه فكر، وفيه فلسفة، وفيه منطق، وفيه تلك الصفات العقلية الجديدة التي يمتاز بها شعراء العصر العباسي من أسلافهم القدماء "[96]

ولعل المتنبي من أكثر الشعراء تأثرا بالفلسفة، وقد تجلى ذلك في أشعاره؛ فمن يطّلع على ديوان المتنبي " يحس إحساسا واضحا بأن الشعر كان يعتمد عنده على العقل المتفلسف والصياغة الفلسفية "[97]، فقد كان المتنبي محيطا بالثقافة الفلسفية السائدة في عصره، موظفا إياها في متونه الشعرية، فاستند على المنطق، ويجتهد في عباراته التي تتطلب من المتلقي إعمال العقل، كي يصل إلى معانيها، كقوله[98]:

أريد من زمني أن يبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

---

[94] -الحسن بن بشر الآمدي: الموازنة بين أبي تمام والبحتري تح السيد أحمد صقر وعبد الله المحارب دار المعارف القاهرة ط4 1994 ص 11/2

[95] -شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي دار المعارف القاهرة ص 257

[96] -نفسه ص 205

[97] -نفسه ص 327/326

[98] -المتنبي: الديوان دار بيروت للطباعة والنشر 1983 ص 471

شعر الحكمة:

جاء في المعاجم العربية أن الحكمة مرجعها إلى العدل والعلم والحلم فيقال: أحكمته التجارب إذا كان حكيما. وأحكم فلان عني كذا أي منعه. وسمى الأعشى القصيدة المحكمة حكيمة في قوله:

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال: من ذا قالها؟

ورجل حكيم: عدل وأحكم الأمر: أتقنه...وفي الحديث إن لمن الشعر لحكمة إي في الشعر كلام نافع..[99] .

أما اصطلاحا فتعني لفظة حكمة خلاصة التجارب والمعاناة ورؤية الكون والمجتمع، تصاغ في كلام موجز ودقيق ليعبر عن حقيقة أو رأي أو مبدأ، وتكون موجهة إلى الأجيال قصد أخذ العبرة منها، ومن شروطها أن تكون شاملة وعامة، وتنطبق على الناس في كل الأزمنة لتبقى متداولة وخالدة"[100].

وشعر الحكمة فن من فنون الشعر العربي قد يرد أبياتا متفرقة في القصائد كما يأتي أيضا في قصائد مستقلة بذاتها. عرفه العرب منذ العصر الجاهلي غير أنه تميز بشكل كبير في العصر العباسي الذي كان هدفه الوعظ والإرشاد.

ومن يطلع على تراثنا الشعري يجده حافلا بزخم من الحكم الشعرية التي تداولها الناس، وقد وجد شعر الحكمة منذ العصر الجاهلي؛ حيث اتسمت بالبساطة وارتباطها بالتجربة وتأمل في قضايا الحياة؛ إذ أنها عبارة عن " نظرات وانطباعات وتأمل في الحياة والموت، ومحاولات لسن نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات، ولذلك جاءت حكمتهم حقائق مجردة في متناول الفطرة السليمة تمليها التجربة

---

[99] -انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي مكتبة لبنان ناشرون ط1 1988 مج10 ص 271/270

[100] -فواز الشعار، الأدب العربي ،الجزء(1) ، دار الجيل، بيروت، 1999،ص 146

والمشاهدة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم، وكانت أفكارهم صدى لهذه التأملات والمشاهدات "[101]

لقد تعددت موضوعات شعر الحكمة ولكنها تبقى دوما مرتبطة بحياة الفرد أو الجماعة لأن هدفها التهذيب. ومن موضوعاتها التحذير من تقلبات الدهر وعواقبه كقول عنترة:[102]

فيا له من زمان كلما انصرفت صروفه فتكت فينا عواقبه

دهر يرى الغدر من إحدى طبائعه فكيف يهنأ به حرّ بصاحبه

والتحذير من الموت كقول أبي العتاهية:[103]

هو الموت الذي لا بد منه فلا يلعب بك الأمل الكذوب

وكيف تريد أن تدّعى حكيما وأنت لكل ما تهوى ركوب

ومهما يكن فإننا نجد أن الشعر الفلسفي وشعر الحكمة يعبران عن تجارب الإنسان وخبراته في الحياة، سواء تعلقت به أو بغيره، وقد تطور هذا الشعر في العصر العباسي خاصة نتيجة تمازج الثقافات المختلفة واطلاع الشعراء عليها، وتأثرهم بها.

---

[101] -يحي الجبوري، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، ص403

[102] -عنترة بن شداد : الديوان شرح الخطيب التبريزي تح مجيد طراد دار الكتاب العربي بيروت 1992 ص 55

[103] - أبو العتاهية: الديوان دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1986 ص 36

المحاضرة الثانية عشر (12)

الموشحات والأزجال:

تعريف الموشحات: هي لون شعري يقوم على وزن وبناء خاصين وقد اختص به الأندلسيون لما عرفوا به من ميل إلى التحرر وحب الشعر والغناء وهو محطة هامّة في الشعر العربي فهو يؤسس لمرحلة الخروج عن الوزن ومحاولة التجديد شكلا ومضمونا. وأما العلة من اشتقاقه من الوشاح فهي ما فيه من تزيين وزخرف للفظ والوزن ولما فيه من جمال ورونق

إذن الموشح هو نوع من الشعر ظهر في الأندلس نتيجة انتشار الغناء والموسيقى منذ زرياب في عهد عبد الرحمن الأوسط، وأول ما ظهر كان في عهد الأمير عبد الله بن محمد (275-300ه)[104] ، والذي " يتألف من قفل ويسمى مركزا، وتتعدد أجزاؤه أو شطوره، ويليه غصن متعدد الأجزاء أو الشطور، وبينما تتحد أجزاء الأقفال التالية مع الأجزاء المقابلة لها في القفل الأول سواء في الوزن أو القافية، تختلف أجزاء الأغصان التالية مع أجزاء الغصن الأول في قافيته، فلكل غصن قافية تتحد في أجزائه أو شطوره مع اتفاق أجزاء الأغصان جميعا في الوزن"[105]، ويعرفه ابن سناء الملك بأنه " كلام منظوم على وزن مخصوص ، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات، ويقال له التام، وفي الأقل خمسة أقفال وخمسة أبيات، ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدأ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدأ فيه بالأبيات "[106].

ويرجع سبب نشأة الموشحات وانتشارها إلى عاملين أساسيين هما:

1- موجة الغناء التي انتشرت بالأندلس لعدة أسباب في مقدمتها حياة الترف والبذخ واختلاط الأجناس خاصة بعد دخول زرياب الأندلس في عهد ابن هشام.

2- شيوع الشعر بين طبقات الشعب المختلفة وميله للغة البسيطة القريبة من لغة العامة.

---

[104] -شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، ص 146، 147

[105] -نفسه ص 146

[106] أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق: جودت الركابي، دمشق، ، 1949، ص 25

البناء الفني للموشحات:

القفل: هو أول ما يبتدئ به الموشح التام، ويطلق عليه أيضا اسم المطلع، ويتكون من جزأين إلى ثمانية أجزاء، ويجب أن يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها، في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها .

الجزء : هو الجزء الواحد من المطلع أو القفل، أو البيت ، أو الخرجة .

الغصن: هو الجزء الواحد المركب .

الدور: ويمثل مجموعة الأجزاء التي تتكون منها المقطوعة الواحدة .

البيت: يمثل أجزاء مؤلفة، وقد تكون الأبيات مفردة أو مركبة، ويجب أن يكون كل بيت منها متفقا مع بقية أبيات الموشح في وزنها، وعدد أجزائها، ويستحسن أن تكون الأبيات مختلفة القوافي، ويكون البيت مكونا من ثلاثة أجزاء، أو ثلاثة أجزاء ونصف، ونادرا ما يكون من جزءين .

الخرجة: وتمثل القفل الأخير في الموشح، ويشترط أن تكون الخرجة حجاجية من قبل السخف، وقزمانية من قبل اللحن[107]، حارة محرقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامة، وقد تكون معربة الألفاظ ونسيجها على شاكلة ما تقدمها من الأبيات والأقفال، وحينها لا يعد موشحا إلا إذا كان موشح مدح، وذكر اسم الممدوح في الخرجة، فذلك يجوز.

أما أوزان الموشحات فقد وردت على قسمين:

- موشحات شعرية وهي التي تلتزم عروضا معينا.

- وقسم ثاني لا يخضع للأوزان الخليلية.

[107] -حجاجية نسبة إلى ابن حجاج شاعر بغداد المفرط في المجون، و قزمانية نسبة إلى ابن قزمان الزجال، ينظر : شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، ص148

الأزجال:

الأزجال جمع مفرده الزجل، والزجل لغة هو الصوت والطرب؛ إذ ورد في لسان العرب: "ّالزجل بالتحريك اللعب والجبلة ورفع الصوت، وخص به التطريب "[108] .

أما اصطلاحا فالزجل " ضرب من ضروب النظم عن القصيدة من حيث الإعراب والقافية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب، ولا يختلف عن القصيدة عنه من جانب القافية إلا نادرا"[109].

الزجل فن أندلسي النشأة ظهر بعد الموشحات وكان نتيجة لتطور فن الموشحات الذي مسّه التعقيد والتكلف خاصة ما تعلق بجانب البناء. ويرجع الدارسون انطلاقتها مع ملوك الطوائف في القرن للهجرة وازدادت شيوعا مع ملوك المرابطين لعدم إتقان هؤلاء للغة العربية الفصيحة وعدم تشجيعهم للشعراء على النظم. وأشهر الزجالين ابن قزمان ويوسف بن هارون الرمادي ويخلف بن راشد وأبو عبد الله بن الحاج المعروف ب:**مدغيلس** وعنه قال المقري:" وكان مدغيلس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة ابن قزمان في زمانه ، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغيلس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت إلى المعنى ومدغيلس ملتفت إلى اللفظ وكان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنسب اقتصر عليه"[110]

ساعد انتشار الغناء في شيوع الموشح بين العامة والخاصة فأقبل الناس عليه لسهولته وطواعيته للحن والحفظ واختلاطه بالعامة بعد خروجه من القصور والمجالس العلمية خاصة وأن الأندلس بدأت تسير نحو الانحلال والسقوط.

---

[108] -ابن منظور: لسان العرب، الجزء (7)، ص 124

[109] -محمد عبابسة: الموشحات والأزجال وأثرها في شعر التروبادور، ص 105، 106

[110] -المقري أحمد بن محمد التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح إحسان عباس دار صادر بيروت لبنان 1988 ص 385

لقد تعدد أغراض الزجل وكان أكثرها في المدح والغزل والطبيعة والتصوّف، حيث أكثر الزجالون من الغزل ومن الأزجال قول مدغيلس:[111]

قد رحلت أنا وقلبي إش يكون منّي ومنو

ولا يشفقوا عليّ ذا لملاح ولا يحنو

قد قسمت أنا وقلبي الهوى بلا مناعس

فخرجت أنا للأفكار وخرج هو للوساوس

كما وصفوا الطبيعة ولهم شعر كثير في ذلك نظرا لجمال طبيعة الأندلس كقول مدغيلس:[112]

ثلاث أشياء فالبساتين لس تجد في كل موضع

النسيم والخضر والطير شمّ واتنزه واسمع

قم ترى النسيم يولول والطيور عليه تغرد

والثمار تنثر جواهر في بساط من الزمرد

[111] -محمد عباسة: مرجع سابق ص137

[112] -نفسه ص 143

المحاضرة الثالثة عشر (13)

الشعر الأندلسي:

لقد كان الشعراء الأندلسيون في البداية يقلّدون شعر المشارقة؛ وهو ما جعل الأندلس "تعيش في فنها وشعرها داخل الإطار المشرقي العام، إذ كانت الفكرة الأساسية عند من يريد أن يكتب شعرا أن يكون شعره على نمط الشعر عند المشارقة من القدماء أو العباسيين ...ولعل من المهم أن نعرف أنه مرت على الأندلس فترة طويلة قبل أن تجد شاعرا ممتازا تستطع أن تلقى به شعراء المشرق، وأكبر الظن أن ذلك يرجع إلى كثرة ما كان فيها من فتن وثورات وخصومات فكأنها لم تهدأ لنفسها حتى تستطيع أن تنتج شاعرا ممتازا إذ كانت دائما في حروب داخلية يثيرها العرب وما بين المضرية واليمنية عندهم من خصومات قديمة، ثم يثيرها ما كان يقوم بين العرب وبين البربر من جهة، ثم بينهم وبين المسيحيين الشماليين من جهة أخرى "[113].

ولم يكن هناك شعراء ممتازين في القرنين الثاني والثالث للهجرة إلا يحي بن الحكم الغزال شاعر الأمير عبد الرحمن الثاني(206– 238ه)، و ابن عبد ربه، لكن الشعر الأندلسي تطور في عصر ملوك الطوائف، واستمر ذلك التطور في عصري المرابطين والموحدين، لكنه ظل محدودا في صورة الشعر العربي عامة، وتقليد المشارقة ، باستثناء الموشحات والأزجال التي ابتكرها الأندلسيون، ويؤكد ذلك أيضا أحمد حين يرى أن الشعر الأندلسي " جار مجرى الشعر الشرقي فلم يتعدّ حدوده ولم يكسر قيوده إلا بمقدار ما ذكرناه من ابتداع الموشح وكتنويع القافية"[114].

ويمكن القول أن الشعر الأندلسي قد مرّ بمراحل حتى اكتمل واستقل بطابعه الأندلسي فكانت أول مرحلة هي:

---

[113] - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص41

[114] - أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط(2) ، ص 2

التّأسيس: وتبدأ من زمن الفتح فكانت تسير في كنف التقليد للأدب المشرقي وما ميّز شعر هذه الفترة هو التعبير عن الواقع الأندلسي ولكن بصور مستمدة ومستوحاة من الأدب المشرقي وكان من شعراء هذه المرحلة الشاعر أبو الخطار حسام بن ضرار الذي يقول:[115]

فليت ابن جواس يخبر أنني سعيت به سعي امرئ غير عاقل

قتلت به تسعين تحسب أنهم جذوع نخيل صرّعت في المسايل

ولو كانت الموتى تباع اشتريته بكفّي وما استثنيت منها أناملي

التّأصيل: صار فيه الشعر معبّرا عن الروح والبيئة الأندلسية وذلك بعد الاستقرار الذي شهدته البلد وتمتدّ إلى أواخر القرن الرابع حيث بدأ الشعر الأندلسي يرسم لنفسه نهجا خاصا به وبدأ يستقل تدريجيا عن الشعر المشرقي كقول منذر بن سعيد البلوطي منشدا عبد الرحمن الناصر ومتأسفا على تأخيره وتقديم أبي علي القالي:[116]

هذا المقام ما عابه فند لكن قائله أزرى به البلد

لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا لكنني منهم فاغتالني النكد

لولا الخلافة أبقى الله حرمتها ما كنت أرضى بأرض ما بها أحد

وما ميز أشعار هذه الفترة امتزاجها بالطبيعة لجمالها وأخذها بألباب الشعراء كابن زيدون وابن خفاجة .

التّجديد: لقد مسّ القصيدة الأندلسية تجديد طرأ على الشكل حيث عرف ظهور أنواع شعرية جديدة مثل الأزجال والموشحات وآخر مسّ المضمون حيث ظهرت معاني شعرية جديدة أبرزها الشوق والحنين خاصة الحنين لزيارة مكة المكرمة وأداء فريضة الحج كقول عبد الله بن محمد البطليوسي:

---

[115] -الربعي بن سلامة: محاضرات في الأدب المغربي والأندلسي د م ج قسنطينة ص 27

[116] -المقري: نفح الطيب مج 1ص 373

أ مكة تفديك النفوس الكرام ولا برحت تنهل فيك الغمائم

وكفّت أكفّ السّوء عنك وبلّغت مناها قلوب كي تراك حوائم

فإنك بيت الله والحرم الذي لعزّته ذلّ الملوك الأعاظم

وقدر رفعت منك القواعد بالتّقى وشادتك أيد برّة ومعاصم

كما ظهر في هذا العصر أيضا رثاء المدن لأن الشعراء عاشوا الواقع ورأوا دويلاتهم تتهاوى أمامهم الواحدة تلو الأخرى أمام النصارى كقول أحدهم يرثي طليطلة:[117]

لثكلك كيف تبتسم الثغور سرورا بعد ما سبيت ثغور

أما وأبي مصاب هد منه ثبير الدين فاتصل الثبور

لقد قصمت ظهور حين قالوا أمير الكافرين له ظهور

ترى في الدهر مسرورا بعيش مضى عنا لطيته السرور

أليس بها أبي النفس شهم يدير على الدوائر إذ تدور

لقد خضعت رقاب كن غلبا وزال عتوها ومضى النفور

وهان على عزيز القوم ذل وسامح في الحريم فتى غيور

طليطلة أباح الكفر منها حماها إن ذا نبأ كبير

فليس مثالها إيوان كسرى ولا منها الخورنق والسدير

محصنة محسنة بعيد تناولها ومطلبها عسير

ألم تك معقلا للدين صعبا فذلله كما شاء القدير

[117] -المقري : نفح الطيب مج 4 ص 483

وأخــرج أهلهــا منها جميعـــا فصاروا حيث شاء بهم مصيــر

وكــانت دار إيمـــان وعلـــم معالمهــا التى طمســت تنــير

فعــادت دار كفــر مصطفــاة قد اضطربت بأهليهــا الأمــور

مساجــدها كنــائس أي قلــب على هـــذا يقــر ولا يطــيــر

فيا أسفــاه يا أسفــاه حــزنا يكــرر ما تكــررت الدهـــور

المحاضرة الرابعة عشر (14)

الشعر الجزائري القديم:

الحديث عن الأدب الجزائري لا ينبغي أن ينطلق من أقرب فترة، أي من فترة النهضة العربية الحديثة، أو من فترة الحركة الاستعمارية بشكل عام، وإنما يكون من الإنصاف لهذا الأدب، أن نؤرخ له منذ عصوره الغابرة، شأنه شأن التأريخ للأدب في المشرق العربي.

ولا شك أن الباحث في جذور هذا الأدب سيقف على نتاج متنوع، ويجمع بين التركة الأدبية والتركة اللغوية، في مسيرة متأنية، حسب البيئة التي احتضنت هذا الأدب وحسب الذهنية المنتجة.

لقد وُجد الأدب العربي في الجزائر منذ القديم، كما وُجدت الذات الجزائرية على هذه الأرض، ورافق ما تمخض عنه التاريخ من إيجابيات وسلبيات، فاختلط الأصيل بالوافد، وهو الإشكال الذي يواجه الباحث في الأدب الجزائري القديم، فكثيرا ما قطن الجزائر أدباء وعلماء من بلدان مختلفة، كالمغرب وتونس والأندلس، واستوطنوها طوال حياتهم، وانصهروا في مناخها، وأثروا وتأثروا بحياتها العلمية والأدبية، فكان النتاج متشابكا متداخلا، يتطلب كثيرا من الدقة للفصل بين الأصيل والوافد.

بعد أن تمّ تقسيم المغرب إلى مناطق ادارية أهمها : طنجة وتلمسان والقيروان وبعدها نشأت الجزائر وكانت هناك عدة دويلات عزّزت العربية والإسلام وشيدت العمران ونشرت الثقافة وجاءت هذه الدويلات كما يلي:

الدولة الرستميّة (160ه–296ه) [118]: وقد أسسها عبد الرحمن بن رستم الإباضي، وكانت عاصمتها تيهرت .

الدولة الفاطمية (296ه–361ه)[119]: أسسها عبيد الله الفاطمي، وعاصمتها المهدية ثم القاهرة .

الدولة الحمادية (398ه–547ه)[120]:أسسها حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي، وعاصمتها

---

[118] - محمد زينهم محمد عزب: قيام الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، ط(1)، 2013، ص 3

[119] - محمد علي الصلابي: الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والفهرسة، القاهرة، ط(1)، 2006، ص30.

[120] - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عهد الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى موريطانيا السودان، دار المعارف، القاهرة، ط(1)، ص3

قلعة بني حماد، ثم الناصرية ببجاية، غير أنها لم تصمد طويلا أمام الموحدين ، حيث سقطت سنة 547ه.

الدولة الموحديّة(515ه-668ه)[121]: أسّسهما محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي وعاصمتها مراكش.

الدولة الزيانية(633ه-962ه)[122]: عاصمتها تلمسان وقد انبثقت من دولة الموحدين وأسسها يغموراسن بن زيان.

نظم الشعراء الجزائريون العديد من الأشعار في مختلف الأغراض الشعرية، منذ تأسيس الدولة الرستمية في تيهرت، حيث اعتنى مؤسسها بتعليم اللغة العربية ونشرها، فظهر جيل متقن للعربية ونظم الشعر، وفي خضم تلك الظروف ظهر بكر بن حماد والذي يعد أكبر شاعر جزائري في القرن الثالث الهجري، حيث كان حافظا للحديث ونابغة في الشعر مما جعله يصاحب أدباء تصدروا الطليعة في ميدان القريض كأبي تمام، ودعبل الخزاعي، وعلي بن الجهم، ومسلم بن الوليد.

خلف الرجل ديوانا شعريا بعنوان "الدر الوقاد"، وتزعم الحركة الزهدية في الأدب المغاربي، كما كان يتزعمها أبو العتاهية في المشرق. ومن شعره في الزهديات[123]:

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت وقد مرقت نفسي، فطال مروقها

فيا أسفـــي من جنح ليل يقودها وضوء نهار لا يـــزال يسوقها

إلى مشهـــد لا بد لي من شهوده ومن جزع للموت سوف أذوقها

ستأكلها الديدان في باطن الثرى ويذهب عنها طيبها وخلوقها

ومن شعره في رثاء ولده:[124]

---

[121] - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عهد الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى موريطانيا السودان ص 39

[122] -المرجع نفسه ص 43

[123] - محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص30.

[124] - بكر بن حماد التاهرتي: الدر الوقاد، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، 1966، ص87

بكيت على الأحبة إذ تولوا ولو أني هلكت، بكوا عليا

فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا وفقدك قد كوى الأكباد حيا

كفى حزنا بأني منك خـــلـــو وأنك ميت وبقيت حيـــا

ولم أك أيسا فيئست لمـــا رميت الترب فوقك من يديا

فترة الأغالبة:

اتخذ الأغالبة "طبنة"، الواقعة وسط إقليم الزاب الجزائري عاصمة لحكمهم. وأصبحت "طبنة" قاعدة الجزائر الشرقية في الحركة العلمية والأدبية (...) ويجدر بالتسجيل أن الفقه طغى على الفنون الأخرى بحيث نجد الفقهاء أكثر عددا من الأدباء، وهؤلاء أنفسهم لهم إلمام كبير بالفقه، لأن الحالة الاجتماعية كانت تدعو إلى تعاطي العلوم الدينية أكثر من سواها[125]. ومن الأسماء البارزة على عهد الأغالبة محمد بن حسين الطبني، وأحمد وعلي وهما إخوة. كان الأول منهما "أديبا بليغا وشاعرا مُقَدَّما، قصد الديار الأندلسية ودخل قرطبة في عهد الناصر وسكنها"[126]. ومما قاله في وصف ربوع خلت من أحبابه[127]:

وأصبحت بعد أشواق ربوعهم مثل السطور إذا ما رثت الكتب

فقرا يبابا، كأن لم تغن أهلة تبكي على حتفها غربانها النعب

كأن باقي مغانيها وأرسمهـــا منابر نصبت والطير تَخْطُب

وظهر أبو العباس محمد البريدي، وهو أحد كتاب الدولة الأغلبيةوأحسن ظرفائها، ومن شعره وهو في السجن[128]:

هبني أسأت، فأين العفـــو والكرم قد قادني نحوك الإذعان والنـــدم

---

[125] - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص43، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981

[126] -نفسه ص47

[127] -نفسه ص 48

[128] - رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، الطبعة الثانية، ص105.

يا خير من مدت الأيدي إليه أما ترثي لمن بكاه عندك الإذعان والندم

بالغت في الصفح، فاصْفَحْ صفح مُقتدرٍ إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

الفترة الفاطمية:

نشط الفاطميون واتخذوا من "المسيلة" عاصمة لهم، فقصدها أرباب الثقافة من كل فوج وصوب. والفضل في ذلك يرجع إلى مؤسسها ووليها علي بن حمدون. ويمثل هذه الفترة خير تمثيل الشاعر الكبير بن هانئ الأندلسي الذي هاجر إلى المغرب وبالذات إلى منطقة الزاب. ومن شعره في الأمير جعفر بن علي[129]:

خليلي، ما الأيام إلا بجعفر وما الناس إلا جعفر، دام جعفر!

وقوله في يحي:

فلا تسألاني عن زماني الذي خلا فو العصر، إني قبل يحي لفي خسر!

الفترة الصنهاجية:

كان زعيم الصنهاجيين، بلقين بن زيري بن مناد، وكان واليا على الجزائر، واستطاع أن يحقق للمغرب العربي ما لم يستطعه حكام المغرب قبله، وواصل المشوار بعده، ولده المنصور، وبعد المنصور، بويع ابنه باديس، فكلف عمه حماد بن بلقين بإدارة أمور المغرب الأوسط. ولم يلبث أن أصبح حمّاد صاحب النفوذ المطلق بالجزائر وغدت الدولة الحمادية أول دولة بربرية بالجزائر الإسلامية، وكانت عاصمتها القلعة. وكانت العربية هي اللسان الرسمي للدولة الحمادية مع أن رؤساءها برابرة لكون العربية لغة القرآن والدين[130].

وقد ازدهر الأدب في فترة الحمّاديين من حيث الكم، وأما من جهة الكيف فظل يتسم بسمات المدرسة الشرقية، وإن كان قد ضاع نتاج هذه الفترة بسبب الاضطرابات، إلا أن هناك رجالا

---

[129] -محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائريص41

[130] -نفسه ص 71

جزائريين عاشوا في تونس وصل إلينا شيء من آثارهم الأدبية ومن هؤلاء: أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني، ومن شعره[131]:

خليلي، إن لم تساعداني فاقصرا فليس يداوى بالعتاب المتيم

تريداني مني النّسك في غير حينه وغصني ريان ورأسي أسحم

ومن الشعراء يوسف أبو الفضل بن النحوي: تفنن في شعر التوسلات والابتهالات واشتهر بقصيدته المعنونة بـــ: "المنفرجة". ومن حلو شعره:[132]

لبست ثوب الرجاء، والناس قد رقدوا وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد

وقلت: يا سيدي، يا منتهـــى أملي يا من عليه بكشف الضر أعتمد

أشكـــو إليـــك أمـــورا أنت تعلمهـــا مالي على حملها صبر ولا جلد

وقد مددت يدي للضر مشتكيـــا إليك يا خير من مدت إليه يد

الفترة الحفصية:

من الأسماء البارزة في هذه الفترة محمد بن حسن القلعي: كان شاعرا سخي الدمع، سخي الجيب، ويده ويد الطلبة في كتبه سواء، لا مزية له عليهم، كان جيد الشعر، يسلك فيه مسلك أبي تمام. من شعره في الزهد[133]:

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا أن المقام بها كاللمح بالبصر

أفناهم أولاهـــم وآخرهـــم لم يبق منهم سوى الأسماء والسير

[131] - رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص301.
[132] -نفسه ص 271
[133] - نفسه ص147.

مع القرن السابع الهجري، بدأ الأندلسيون في الهجرة إلى الجزائر، وكان حظ تلمسان من المهاجرين الأندلسيين أوفر من غيرها، فكثر النتاج الأدبي، وازدهر فن التوشيح الذي تعود أصوله في الجزائر إلى القرن الخامس هجري مع الشاعرين الكبيرين الأريسي وابن فكون. وأما في القرن السابع، فاشتهر شمس الدين محمد بن عفيف التلمساني المعروف بالشاب الظريف.

وعرف الأدب الجزائري القديم شعر التصوف (حب الحقيقة والفناء في طاعة الله). ومن شعراء الصوفية في الجزائر آنذاك أبو مدين بن شعيب، الذي "ولد بإشبيلية، وتعلم بفاس، ثم حج، وعند أوبته توطن بجاية. توفي قرب تلمسان سنة594ه. ومن حلو شعره:[134]

لألطافك الحسنى مددت يد الرجا وحالي كما تدري، وأنت المؤمل

قصدتك ملهوفا فؤادي لما طــرا وأنت رؤوف محسن متفضل

فترة المرينيين:

ومع انتقال الحكم إلى المرينيين برزت أسماء جديدة كالملياني ومحمد ابن مرزق الخطيب، وأحمد بن قنفد القسنطيني، صاحب الرحلة المشهورة: "أنس الفقير، وعز الحق.

فترة الجزائر العثمانية:

كان الأتراك رجال حرب، وليس رجال أدب، لذلك لم يهتموا برجال الثقافة. وسرى الضعف في مفاصل الأدب على عهدهم، فغلب عليهم طابع الجفاف. ولم يظهر أدباء حقيقيون إلا في القرن الحادي عشر، ومنهم: أحمد المقري الذي خلّف ثروة أدبية منها: أزهار الرياض و نفح الطيب وعبد الكريم بن محمد الفكون الذي عاصر المقري ومن مؤلفاته رسائل من نوع الإخوانيات.

[134] - مختار حبار: شعر أبي مدين التلمساني، مطبعة اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002، ص130.

عصر الدّايات:

لعلّ أوْسَع حركة أدبية شهدها عصر الدّايات بالجزائر؛ هو عصر الدّاي التاسع المدعو: محمد بكداش الذي تولى السلطة عام 1707م، ثمّ أزيح عنها عام 1710م (قتلا). وقد رفع الأدباء إليه قصائدهم مادحين.

كان هذا الدايُ عالِماً فقيها، مُشارِكا في عدة فنون، ماهِراً في علم اللسان، وعَنْهُ ألف محمد بن ميمون الجزائري كتابا بِعُنوان: التحفة المرْضية في الدّولة البَكداشية في بلاد الجزائر المحمية". احتوى هذا الكتاب على ست عشرة مقامة، تشهد على نبوغ الجزائريين في فن المقامات، وتُسجّلُ تأثرهم بالطريقة الأندلسية في التحبير والتدبيج (حسن السبك). إلى جانب محمد بن ميمون الجزائري، تميزت كوكبة من الشعراء، نذكر من بينهم الشاعر الكبير أحمد بن عمار الجزائري وهو من أجلاء علماء القرن 12هـ/18م في الجزائر، وكان يستمد من أصوله الأندلسية الأدب والفن، وحب الطبيعة والجمال. ومن حلو شعره:[135]

نشدتك الرحمن يا هاجري عذِّبْ فؤادي بِسِوَى الهجْر

كمْ ليلة قطعْتُها حسرة وأنتَ في تيهك لا تدْرِي

ويظل محمد القوجيلي أبرز شعراء الجزائر خلال القرن الحادي عشر الهجري (17م)، وله وقفات نقدية كقوله:

أهلَ الفصاحة غِبْتم لا فصيح يُرى يُجيد نظم الكلام يُذهل الفِكَرا

بكتْ لهم ولنظم الشعــر باكيــة وحُقَّ أن يندب الأطلال والأثرا

مصيبة الجهل أدهى محنة نزلــت بالمرء لما غدا قد أشبه البقرا

[135] - أبو القاسم سعد الله: أشعار جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص65.

ويمكن القول إن الأدب في ظلال الجزائر العثمانية قد تأرجح بين السطوع مرة، وبين الانتكاسة مرات، وذلك بسبب عدم التشجيع من الحكام العثمانيين، وبسبب عدم استقرار الأدباء في الجزائر، فأغلبهم إما هاجر، وإما انغمس في التصوف الخرافي الذي شكل أحد مظاهر التدهور الثقافي بالجزائر العثمانية (الدروشة وما في حقلها).

يقول أبو القاسم سعد الله بعد حديثه عن آراء" الفكون" في البدع الصوفية: "حتى أصبح كل شيخ مجذوب يُعتبر بركة وصالحا، وكل درويش مغفل يُعتبر وليا وصاحب كرامات، وكلّ مُستغل للعامة بِاسم الدّين ومتقرب للسلطة باسم الطريقة؛ يُعتبرُ قطبا تأتيه الجبايات ويقصده الناس ... بالقرابين"[136].

[136] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى القرن 14، ج1/482، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص139

فهرس المحاضرات:

تقديم

المحاضرة الأولى.....ص 04

الإطار الجغرافي والثقافي للشعر العربي.....ص04

الشعر الجاهلي.....ص05

خصائص الشعر الجاهلي.....ص05

من الناحية المعنوية.....ص06

من الناحية الشكلية.....ص07

أغراض الشعر الجاهلي.....ص08

المحاضرة الثانية.....ص11

المعلقات مضامينها وأساليبها.....ص11

نماذج من شعر المعلقات.....ص13

المحاضرة الثالثة.....ص20

شعر الصعاليك.....ص20

خصائص شعر الصعاليك.....ص24

المحاضرة الرابعة.....ص29

الشعر في صدر الإسلام: شعر الفتوحات.....ص29

خصائص شعر الفتوح.....ص29

موضوعات شعر الفتوحات الإسلامية.....ص31

المحاضرة الخامسة.....ص34

المراثي النبوية.....ص34

بكاء الرسول صلى الله عليه وسلم.....ص35

المحاضرة السادسة.....ص37

شعر النقائض.....ص37

خصائص شعر النقائض.....ص40

العوامل المؤدية إلى نشأة النقائض.....ص41

المحاضرة السابعة.....ص43

الشعر العذري والشعر العمري.....ص43

خصائص الشعر العذري.....ص44

بواعث الشعر العذري.....ص46

الغزل العمري.....ص46

المحاضرة الثامنة.....ص48

الزهد والتصوف.....ص48

شعر الزهد.....ص48

أغراضه وخصائصه.....ص49

شعر التصوّف.....ص54

المحاضرة التاسعة.....ص56
شعر الحماسة.....ص56
الحماسة في الشعر العربي.....ص57
شعر الحماسة عند المتنبي.....ص57
المحاضرة العاشرة.....ص60
الشعر السياسي في المشرق والمغرب.....ص60
الشعر السياسي في العصر الأموي.....ص61
الشعر السياسي في العصر العباسي.....ص62
الشعر السياسي في المغرب والأندلس.....ص64
شعر السجون.....ص65
رثاء المدن.....ص68
المحاضرة الحادية عشر.....ص69
الشعر الفلسفي.....ص69
الشعر الفلسفي عند العرب.....ص70
شعر الحكمة.....ص73
المحاضرة الثانية عشر.....ص75
الموشّحات والأزجال.....ص75
البناء الفني للموشّحات.....ص76

الأزجال.....ص77

المحاضرة الثالثة عشر.....ص79

الشعر الأندلسي.....ص79

نماذج من الشعر الأندلسي.....ص81

المحاضرة الرابعة عشر.....ص83

الشعر الجزائري القديم.....ص83

نماذج من الشعر الجزائري القديم.....ص85